مجلة البيان – العدد 73 ، رمضان 1414هـ / فبراير 1994م

كلمة صغيرة

نتيجة مرفوضة

... وتقاتل إخوة الجهاد في صراع دام مؤلم لكل مسلم مخلص ، والعجيب أن كل واحد من المتقاتلين يرفع راية الإسلام بل رايــة الـجـهــاد، فـهـل تكون ثمرة ذلك الجهاد المشرف لتحرير أفغانستان والذي رفع رؤوس كل المسلمين..هل تكون ثمرته هذه الفوضى الجسيمة، وتلك الحرب الداخلية الشرسة؟! إن نتيجة ذلك ليس ســوى الهدم لتلك المواقـف المشرفة لذلك الجهاد والطعن في نزاهة الإسلاميين عموماً ، وادعـاء الشامتين بأن هذا هو مصير كل توجه إسلامي .. فهل يعلم الإخوة المتقاتلون من المجاهـديـن جسامة ما أدى وسيؤدي إليه ذلك القـتال؟!

إننا ندعو إخوة الجهاد للتوقف والتأمل في خطر ما يصنعون: هل هو يرضي الله؟ وما حكم سفك دم مسلم بغير حق؟ فكيف بالعشرات بل المئات؟!

إن تقاتلكم -أيها المجاهدون- إساءة للإسلام وللمسلمين عموماً وانتكاسة لا مبرر لها فحتى مـتــى لا تجيبوا داعي الله ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما))، إن مـــن الأهمية بمكان دراسة أسباب هذه الانتكاسة وستجدون أن السبب جوانب تساهلتم فيها من الولاء والبراء والإيثار ونكران الذات.

والله المستعان.

الافتتاحية

رمـضـان بين الصـورة والحقيقـة

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والـسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

تقوم مجلة الـبـيـان انطلاقاً من رسالتهـا الإسلامية بالتفاعل مع واقع أمتنا الإسلامية دعوة وتوجيهاً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، نصيحة للّه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. وواقع أمتنا اليوم يحفل بالكثير من المشـكـلات والـمـآسي التي يعاني منها جل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وكنا نتحين الفرص لمعالـجــة بعض الأحداث والمواقف ، إلا أن إطلالة هذا الشهر الكريم بإشراقاته وأنواره حاملاً معه الـبـركــات والـخـيــرات ، جعلتنا نتوقف مع هذه المناسبة وقفة عرض ومحاسبة لأحوالنا

في هذا الشهر وواقـعـنـا فـيـه بـيـن الـصـورة والحقيقة ، وما مدى التزامنا فيه بالهدي النبوي ، وماذا يتوجب علينا أن نقوم به لنكون فيه من المقبولين إن شاء الله.
هذا الـشـهـر الذي تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم وتصفد فيه الشياطين ، هو فرصة كبيرة لعودة كثير من المسلمين المسرفين على أنفسهم إلى الله توبة وهداية والتزاماً وحـسـب من صامه إيماناً واحتساباً أن يغفر له ما تقدم من ذنبه ، كما قال بذلك الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-.
فقد كـان هــذا الشـهـر الـمبارك غرة في جبين تاريخ أمتنا كل عام ، وقد كان شهر الفتوح والانتصارات ، إذ إن كثيراً مـن الغزوات والمعارك الإسلامية كانت فيه من مثل (غزوة بدر وفتح مكة وفتح الأندلس وحطين...). ومما يؤسف له أن يتحول كثير منا في هذا الشهر إلى النقيض تماماً عما كان عليه سلفنا الصالح فيكونون في أحوال يرثى لها.

فتعالوا نتلمس آثار ذلك الشطط فيما يلي:

* من الناس من يستغل هذا الـشـهـر للسفر والسياحة لا لطلب الجو المريح والمناخ الجميل الذي يعينه على الصيام والقيام ، وإنما للهروب من الجو الرمضاني ليعاقر المنكرات ويبارز الله بالمعاصي والعياذ بالله وهؤلاء أحياناً قد يضطرون لصيام قسري لعلاج أمراض معينة.
* هناك صنف آخر من الناس يأخـــذون الإجازات في هذا الشهر ، فليلُهم سهر ويقظتهم نوم ، فأي صيام هذا الذي لا تؤدى فيه الفرائض والسنن؟!
* من الصائمين من لا يلتزم بأخلاقيات الصيام في تعامله، فـتـجـده وهـــو الـصـائم عبوساً قمطريراً ، وإن تحدث لا يعف لسانه عن الوقوع في الغيبة والنميمة وخلافها.
* إن أحوال كثير من المصلين وقد أشرنا إلى بعض صورها مما يؤسف لها إذ فيها محاذير شرعية قد تصل إلى إحباط العمل ، وربما ينطبق على الكثير منها ما جاء في الحديث (رُبّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والـعـطــش ، ورُبّ قـائـم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر »)، وهذا يقتضي من كل مسلم مخلص مراجعة حساباته في بداية هذا الشهر الكريم وأن ينظر لهذا الموسم بأنه فرصة كبرى ومجال مهم لتلافي الكثير من الأخطـاء والـزلات ، لـعل الـلـه أن يتداركه برحمته ، وأن يختم له بالحسـنى ((ومــا تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت)).
إن قضاء هذا الشهر كما ينبغي وفقاً لسنة البشير النذير شرف عظيم لا يحظى به ولا يوفق له إلا الربانيون المقتدون بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولعل القارئ الكريم أن يقف معنا متأملاً لهذه المعالم المهمة التي نذكر بها ، والذكرى تنفع المؤمنين ، ومنها: استشعار أن الصيام عبادة لا عادة وأن ثمرته

المفترضة هي التقوى إذ أن الحكمة منه كما أشــار إليها جل وعلا ((... لعلكم تتقون)) هي التقوى.
زيــادة الارتباط بكتاب الله حفظاً وقراءة وتدبراً ، والاطلاع على ما تيسر من تفاسيـــره الموثــوقـة ، ومن أجَلّها (تفسير العلامة ابن كثير) ، ومن أهم مختصراته (عمدة التفسير) للشيخ أحمد شاكر.
أن يكون الصيام كما كان عليه حال سلفنا الصالح تنافساً في الطاعات وتزوداً من النوافل والقربات ، ومن أهمها أداء الفرائض مع جماعة المسلمين والحرص على أداء صلوات التراويح والقيام وبذل الصدقات للمحتاجين ، وتجنب كل ما يطعن ويفسد الصيام من الأقوال والأفعال.
التفاعل مع واقع إخواننا المسلمين المستضعفين في أرجاء العالم الإسلامي بالبذل والمساعدة والمشاركة ما أمكن في الإغاثة، ودعم المشاريع الخيرية التي يعود ريعها لإخواننا المنكوبين.
إن أداء الصوم مع الصائمين من المسلمين والإحساس بالجوع والظمأ يذكرنا بحال إخواننا المنكوبين ، وما يعانونه من جـــــوع ومـسـغـبـة ، مما يدفعنا إلى بذل المزيد من التبرعات والهبات لصالح المشاريع الخيرية ، التي يعود ريعها لصالحهم.

وماذا بعد رمضان؟!

إن حال كثير من المسلمين في رمضان تتحسن ويتضاعف العمل الصالح فيه ولكن ما إن تبدأ أيام الشهر بالانصرام ، وبعد حضور بعضهم لـيـلـة القدر فيما يحسبون ، وحضور ختمة القرآن كما يحــرصـون يبدأ ذلك الـمشهد الفريد الـــذي تمـتـلـئ فيه المساجد بالمصلين بالانفراط، فتتناقص الصفوف وكأن القوم لا يعرفون الله إلا في ذلـك الـشـهر المبارك والله المستعان.
ثم من يضمن أن يختم لذلـك الناكص بخاتمة حسنة حينما يعود لمعاصيه وأخطائه وزلاته وسقوطه في دركات الخطايا؟! من يضمن له حسن الختام وهو لا يدري متى تكون النهاية المحتومة؟! إن حـيـاة المسلم الحق رجلاً كان أو امرأة يجب أن تكون موصولة كل الصلة بالله تعالى كل أيام السنة ، بل يجب على الجميع أن يستشعروا أن كل ما يقومون به من أعمال شرعية ، أو حتـى عادية يجب أن يقصد بها وجه الله والدار الآخــــــرة ، أداء للواجبات وعملاً للصالحات مع الحرص في أدائها على أحسن وجه جودة وإتقاناً.
إن المسلم حقــاً يشعر أنه على ثغر من ثغور الإسلام ، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله، مع الحـــرص على أن يؤدي ما أؤتمن عليه بحماس وحيوية وإخلاص، فلعل الله أن يختم له بخـيـر ختام. والموفق حقاً والمقبول إن شاء الله من استمر على نشاطه وحيويتــه بعد رمـضـان في أداء ما افترض عليه من عبادات وواجبات والتزامات ، واهتدى بهدي البشير النذير -صلى الله عليه وسلم-في سلوكه وتعامله.

والله نسأل أن يوفق الجميع لصيام هذا الشهر وقيامه على الوجه الذي يرضيه، وأن يـعـز الإسلام والمسلمين، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته بعز عزيز أو بذل ذليل.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

في إشراقة آية

((وأن تصوموا خير لكم))

د. عبد الكريم بكّـار

كان من مـنّـة الله تعالى على هذه الأمــة أن شــــرع لـهــا مــن الـديـن ما يصلح أمر دنياها وآخرتها، وكان من أهم ما شرعه صوم شهر رمضان المبارك. والعبادات في الإسلام تكاليف ابتلاء ، ومقياس يكشف عن مدى تمـكـن الإيـمـــان وألقه في نفس المسلم، وهي في الوقت ذاته وسائل لتمكين ذلك الإيمان، إنها له بمثابة الـماء للشجر والنبات.

وآيات الصيام لم تعدد لنا أنواع الخيرات التي سنحصل عليها من وراء هذه العبادة؛ ليظل عـطـاء هذه العبادة مفتوحاً متنوعاً تظهره التجربة التاريخية الاجتماعية، والواقع المعاش، ونستطيع الآن من خلالهما أن نتلمس وجوهاً من ذلك الخير في المفردات التالية:

1- إن الصيام وسيلة فعالة لتربية الإرادة الحرة:

حيث لا توجد عبادة من العبادات تكف المسلم عن شهواته وملذاته مدة متصلة من الزمان كهذه العبادة ، فهي تدريب لإرادة المسلم على مقاومة الأهواء والملذات ومغريات الحياة. والـمـتـأمــل فيما يتفاوت فيه الناس في هذا الوجود يجد أن محور التفاوت هو الإرادة لا القدرة، فالقدرات الفطرية لدى الناس متقاربة لكن تفاوتهم الأساس يكون في مدى صلابة الإرادة التي تُسخّر القدرة وتوجهها والتي تعين على ضبط الوقت ، وتكبح جماح الهوى والركون إلى الدعة وسفاسف الأمور ، ومن هنا فإن الصيام جاء لينمي تلك الإرادة وليُعَوِّدْها التوجه إلـى الخير ومقاومة نزوات النفس؛ ولذا فإن تفريط المسلم في أداء هذه الشعيرة صار لدى العامة من المسلمين مؤشراً إلى نقص في رجولته ، وهذا هو تفسير قيام كثير من المسلمين بالصيام مــع تفريطهم في الصلاة، مع أن أهميتها في الإسلام أعظم! ويذكر لنا ابن الجوزي (ت 597 هـ) أن هـنـاك صنفاً من الناس لو ضرب بالسياط على أن يفطر رمضان ما أفطره ، ولو ضرب على أن يصلي ما صلى! وما ذلك إلا لأن الناس عدوا الإفطار نقصاً في الرجولة، ولم يعدوا الصلاة كذلك، وقوله سبحانه: ((وأن تصوموا خير لكم)) في أعقاب ذكر الرخصة للمريض والمسافر بـالـفـطـر إيـمـــاءة للمسلم بأنه من الأفضل له أن يصوم مع المرض المحتمل والسفر غير الشاق ، ليكون في تحقـيــق إرادتــه نوع من المكابدة والمعاناة

في سبيل الله عز وجل، وحتى لا يصير بعض الناس إلى إيجاد الرخص والتذرع بها للفرار من الواجبات.

2- الصيام عبادة سلبية ، كيف؟

فهو امتناع عن أنواع المفطرات، ومن ثم فإنه بـعـيـد عـــن الرياء، وخرق تلك العبادة أمر ميسور في السر لمن أراد ذلك، ومن هنا فإن صيام رمضان فرصة لتنمية الوازع الداخلي لدى المسلم، هذا الوازع الذي تعد تنميته محور التربية الفردية الناجحة، والملموس أن تعاظم هذا الوازع لا يتم إلا من خلال الثقة به والاعتماد عليه فـي شؤون عديدة ، فهو في ذلك أشبه شيء بعضلات الجسم في أن نموها في استخدامها وتحريكها والاعتماد عليها؛ ولذا فإننا نرى ضعف الوازع الداخلي لدى أولئك الذين يأتون الفضائل ويقومون بالواجبات من خلال قسر الأبوين أو المجتمع، فهم يفعلون ما يفعلونه نتـيـجـة ضغط خارجي، فإذا ما ضعف ذلك الضغط أو تلاشى أتوا من الرذائل والقبائح وأنواع التحلل ما يتناسب طرداً مع حجم الضغوط التي تعرضوا لها فيما مضى؛ وهذا يجعلنا نساوق بين الرقابة الاجتماعية وتنمية الوازع الداخلي من خلال التربية البيتية القويمة.

3- في الصيام فوائد طبية واقتصادية واضحة:

فهو يخلص الجسم من بعض ما تراكم فيه من الدهون ، ويريح المعدة من العمل الشاق الذي تقوم به على مدار السنة مع فوائد طـبـية أخرى معروفة.. وفي الصيام توفير إجباري لنحو 40 % من استهلاك الأطعمة والأشربة الــذي تعوده الناس في أيام الفطر ، وفي هذا نوع من التعظيم للمالية الإسلامية ونوع من المحافظة على الموارد الغذائية للأمة المسلمة.

4- من خيرات رمضان أنه أضحى ظرفاً لأداء أنواع من القربات لله:

فقد تجاوز صيام هذا الشهر مفهوم التلبس بعبادة من العبادات لـيـصـبح نوعاً من الامتثال لمفردات كثيرة في المنهج الرباني ، ففيه قيام الليل والإكثار من قراءة القرآن والاعتكاف في المساجد ولزوم الجماعات من قبل كثير من المسلمين وإخراج صدقة الفطر والاستبشار بعفو الله وكرمه بما تظهر الأمة من البهجة والسرور في يوم عيدها ، فكأن شهر رمضان مناسبة لازدحام العبادات والقربات في حياة المسلم على نحو لا يتوفر في أي وقت آخر.

5- يمثل الصيام نوعاً من الاتصال والتواصل الاجتماعي:

حيث ترسم الظروف اليومية والمصالح والأوضاع الاجتماعية والطموحات الخاصة مجموعة مــن الأطياف العازلة لكل إنسان عن غيره مما يؤدي إلى فقد الاتصال أو ضـعـفـه، وفـقـد الاتصال في مجتمع ما من أكبر المعوقات له عن النمو والتجانس والصمود في وجه الكوارث وألـــوان العـدوان الخارجي، ومن ثم فإن امتناع أبناء المجتمع المسلم عن الطعام في وقت واحــد

مـهـمـا كانت أوضاعهم الاجتماعية وتناولهم له في وقت آخر محدد، إلى جانب الشعائر الجمـاعـيـة الأخرى التي تعودها المسلمون في هذا الشهر المبارك من أهم ما يوحد الشعور بالتجانس، ومن أهم ما يزيل الحواجز التي تولدها الظروف المختلفة.

الصيام اليوم:

إن مهمة المبادئ الـعـلـيا أن تكيف حياة الناس وتوجهها وفق مضامينها ومعطياتها ، لكن تلك المباديء لا تعمل في فراغ، وإنما تشتبك مع أمور عديدة من جملتها: العادات الموروثة والظروف الضاغطة والأهـــواء والشهوات الجامحة والتأويلات والأفهام الخاطئة للمنهج والمباديء، وهذا كله ينتهي إلى شأن اجتماعي معاش يلخصه ميل الناس بصورة دائمة إلى جعل النهج الرباني جزءاً من ثقافتهم، وقد يكون جزءاً صلباً، وقد يكون جزءاً رخواً على مقدار إقبال الناس على الإســـلام وهي التي تجعل من المنهج موجهاً للثقافة ومهيمناً عليها. ومن هنا فإن أخطر علل الـتـديــن هي تلك التي تصيب الأمة في مكانة منهجها ومبادئها من ثقافتها العامة ، فتكف المبادئ عن توجيه الفعل ، أو تنحرف عن غاياتها ومقاصدها، فلا تحقق الحكم المقصودة في تشريعها، ويكون الجهاد الدائم هو محاولة الإبقاء على المنهج الرباني ساطعاً متألقاً متميزاً عما تواطأ عليه الناس من عادات وتقاليد.

ومازال بحمد الله في مجتمعنا المسلم من يحرص على الصيام على الوجه الأكمل، وهم في تزايد مستمر لكن الأكثرية الكاثرة من هذه الأمة انحرفت بالصيام عن مقاصده التي ذكرنا أهمها آنفاً، فعلى حين كان السلف يعـــــدون رمضان فرصة سانحة يغتنمونها في صنوف الطاعات، نجد كثيراً من المسلمين يسهرون الليل في ضروب من اللهو المختلفة حتى إذا اقترب وقت السحر تناولوا ما لذ وطاب من الأطعمة، ثم ناموا قبل أداء صلاة الفجر، وإذا كان هذا النائم موظفاً فإن وقت بداية العمل في رمضان يكون متأخراً ، فيقوم متثاقلاً إلى عمله ليكمل نومه هناك! وإن كان غير موظف فإن رمضان هو شهر النوم عنده فيستغرق في نومه إلى قبيل المغرب ، فيفوت عليه أكثر من فريضة صلاة!! ومع هذا فإن الشعار المرفوع لدى كثير من الموظفين هو أن رمضان شهر عبادة وليس شهر عمل (العبادة التي قدمنا صورة منها!).

أما تهذيب النفس من خلال الجوع فحدث عن هذا ولا حرج، حيث إن التجار يشـــرعون في الإعداد لمستلزمات رمضان قبل مجيئه بـنـحـــــو شهرين، وتقدر بعض الجهات أن مـا يستهلكه كثير من المسلمين في رمضان يصل إلى ثلاثة أمثال ما يستهلكونه في غير رمضان!! وقد صار رمضان عبئاً ثقيلاً على الحكومات التي توفر السلع المدعومة لمواطنيها!

وقد كان السلف يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، فإذا انصرم دعوا الله ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم أعمالهم في رمضان. أما اليوم فإن كل وسائل الإعــلام في العالم الإسلامي تشعر الناس بأن رمضان ضيف ثقيل

فكأنه شر لابد منه ، ومـن ثم فإن كثيراً من البرامج ينصرف إلى الترفيه عن الناس بما يجوز وما لا يجوز ، وانقـلـب الشهر المبارك إلى موسم للهو واللعب!
وما يحدث لكثير من المسلمين في هذا الشهر المبارك أمر مفهوم ، حـيث إن الأمة حين تمر بحالة من الركود الحضاري تكف مبادئها عن الفعل وتسيطر عـلـيها الشكليات والعادات، فجيوشها لا تقاتل، ومبدعوها لا يعرفون والفضائل فيها شعارات، والعبادات عادات.. وتستمر في ذلك حتى تندثر باعتبارها أمة متميزة أو يـبـعـثـهـا الله بعثاً جديداً يحيي ما اندرس من سابق عهدها، وما ذلك على الله بعزيز.

دراسات قرآنية

نحو منهجية عملية في حفظ القرآن الكريم

فيصل البعداني

انتشرت الصحوة الإسلامية المباركة في عصرنا، وأصبحت نتائجها ظاهرة لكل أحد، ولعل من بعض ثمارها المباركة عودة كثير من شباب الأمة إلى القرآن الكريم قراءة وحفظاً، ونظراً لسلوك كثير من أولئك مسلكاً غير مـنهجي أثناء مرحلة الحفظ، مما يؤدي إلى سوء الحفظ سواء أكان ذلك من حيث النطق أو الاستـيـعاب لكامل ما يحفظ، أو استقرار الحفظ وثباته في الذهن، بالإضافة إلى عدم مواصلة الكثـيـر منهم للحفظ والتوقف بعد ابتداء المشوار، أو حتى عدم الابتداء من الأصل مع وجود رغبة صادقة، وحرص أكيد للتشرف بحفظ القرآن الكريم. ولقد بادرت في كتابة هذه السطور علـهـا أن تفـيـد الراغبين في حفظ كتاب الله الكريم، وقد حاولت الاستفادة من أصحاب الخبرة في هذا المجـال رجاء أن يكون الطرح أكثر فائدة وواقعية، وقد قمت بتقسيم الموضوع إلى ثلاثة أقسام كالتالي:
أولاً : ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن الكريم قبل أن يحفظ.
ثانياً : خطوات عملية مقترحة لحفظ القرآن الكريم.
ثالثاً : ما يفعله الحافظ بعد أن يحفظ.

وإليك قارئي الكريم التفصيل والبيان :

ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن الكريم قبل أن يحفظ :

1- الإخلاص لله تعالى:

لا يخفى أن الإخلاص وإرادة وجه الله تعالى شرط لصحة العمل وقبـولـه إن كان عبادياً محضاً كالصلاة والصيام والطواف..الخ، كما أنه شرط للثواب ونيل

الأجر في الأمور المباحة كالأكل والشرب وحسن المعاشرة للناس... الخ. وبما أن قراءة القرآن وحـفـظـه مـــن الأمور العبادية المحضة فإنها لا تقبل عند الله تعالى إلا بالإخلاص، وهي داخلة في مـثـل قـوله تعالى ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً))(1)، وقـولـــه تعالى في الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)(2).

2- استشعار عظمة القرآن الكريم ومعرفة منزلته :

ومن الأمور التي تحقق ذلك :

* تذكر أن القرآن كلام الله تعالى ((فَأجِرْه حتى يسمع كلام الله))(3) وعظمته مأخوذة من عظمة الله، ولا أعظم من الله، وبالتالي فلا أعظم ولا أقدس من كلامه سبحانه.
* إدراك الأمر الذى نزل من أجله القــرآن، وهو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ((ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين))(4)، ((شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان))(5).
* من عظمة القرآن عظمة الشهر الذي أنزل فيه القرآن (شهر رمضان)، فهو أفضل الشهور، وعظمة الليلة التي أنزل فيها القرآن (ليلة القدر)، فهي خير الليالي، وعظمة الرسول الذي أنزل عـلـيــه الـقـــرآن فهو إمام الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم ولا فخر، وعظمة معلمه ومتعلمه حيث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيان أفضليتهما (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(6) , وفي رواية (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)(7).
* وصف الله تعالى لـــه بالعظمة في مثل قوله تعالى ((ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)(8)، ويكفي هذا في بيان مقدار عظمته وجلاله.

3- إدراك فضل أهل القرآن وعظم ثوابهم :

وقد جاء بيان ذلك في كثير من النصوص ومنها :

* ما رواه عمر رضي الله عـنـــه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)(9).
* ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله بـــه حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول »ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف)(10).
* عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن في الصفة فقال: أيكم يحــب أن يـغـــدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين (11) في غير إثم ولا قطع رحم , فقلنا : يا رسول الله، نحب ذلك، قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلِّم أو يقــرأ آيـتـيـن من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) (12).

* عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) (13).
* عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها)(14).
* عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله)(1).
* عن عائشة رضي الله عنها عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران)(16).
* عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:(المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريــح لــهـــا، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر)(17).
* معرفة أن الشارع قد حث على قراءة القرآن والاستماع إليه في نصوص منها:

(أ) في القراءة :

قوله تعالى ((إن الذين يتلون كتاب الله وأقـامـــوا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور))(18)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)(19).

(ب) في الاستماع :

قوله تعالى ((وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون))(19).
قال الليث بن سعد: (يقال ما الرحمة إلي أحد بأسرع منها إلى مستمع الـقـــرآن لقوله تعالى ((وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون))، ولعل من الله واجبة)(20).

5- إدراك من أراد الحفظ الهدف من قراءة القرآن وحفظه :

ويمكن أن يحصل ذلك عن طريق استشعار الأمور التالية :
* ما يقع من تحصيل الأجور العظيمة الواردة في النصوص، ومنها ما سبق بيانه.
* قراءة لتنفيذ الأوامر وتطبيق التعاليم الواردة فى الآيات.

* قراءة التصورات الصحيحة الصائبة حيث أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لتصوراتنا لقوله تعالى ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء))(21).

6- التنبه إلى سهولة القرآن لمن اراد حفظه :

لقــوله تعالى ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر))(22)، قال القرطبي - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية »أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه«(23).

7- ضرورة وجود العزيمة الصادقة :

وذلك عند الابتداء في الحفظ والاستمرار على ذلـك، إذ بدونـهــا يخور العبد ويتهاون ولا يتجاوز الأمر كونه مجرد أمنية وحلم يقظة، ويمكن أن يوجد الإنسان هذه العزيمة الصادقة بمعـرفـتـــه لعظمة القرآن ومكانة أهله، والفضل الجزيل لقارئه ومستمعه إذ أن النصوص الواردة في ذلك تحث المسلم وتدفعه بشدة إلى تكوين رغبة جادة في قرارة نفسه على الحفظ والمواصلة.

8- التقليل من المشاغل والاكتفاء بالحفظ وبذل الجهد في ذلك :

قال الله تعالى ((والـــذين جاهدوا فينا لَنهديَنَهُم سُبُلَنَا)) (24)، ومعروف أنه من سار على الدرب وصل، ومن جد وجد، ومن زرع حصد، ومما يعرفه الناس عن النملة أنها تحاول الرقي إلى مـكـــان مرتفع وقد تفشل في الوصول إلى غايتها وتسقط، ولكنها لا تكل أو تمل وتبذل جهداً مضاعفاً إلى أن يتكلل جهدها بالنجاح، وهذا هو ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن.

9- تفريغ وقت يومي للحفظ :

سواء أكان ذلك بعد الفجر أو بعد العصر أو بعد المغرب... إلخ، كل حسب ما يناسبه. وكون مكان الحفظ في المسجد أولى لـقـوله -صلى الله عليه وسلم- فـي الحديث الذي سبق (... أفلا يغدو أحدكـــم إلى المسجد)(12)، ومعلوم أن الجو في المـسـجد مهيأ لهذا الأمر، وغيره ليس مثله. وكونه مع مجمــوعة أفضل لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-(وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الـسـكـيـنـة وغشيتهم الرحمة وحفتهم المــلائكة وذكرهم الله فيمن عنده)(25)، ولأن الجماعة عنصر مساعد ومشجع والإنسان قد يصاب بكسل وفتور فتدفعه الجماعة إلى المواصلة، ولذا قيل (الصاحب ساحب).

10- اختيار شيخ مجيد للتلقي عليه :

ولذا قرر أهل العلم أنه لا يصح التعويل في قراءة القرآن الكريم على الـمصاحف وحدها بل لابد من التلقي على حافظ متقن متلق عن شيخ، ولذا قال سليمان بن موسى »كان يقال : لا تأخذوا القرآن من الصحفيين« (26)، وقال سعيد التنوخي »كان يقال : لا تحملوا العلم عن صحفي ولا تأخذوا

القرآن عن مصحـفـــي« (27)، ولكون قراءة القرآن مـبـناها على التلقي والسماع جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : (والله لقد أخذت من في رسول الله بضعاً وسبعين سورة)« (28)، وذكر ابن حجر في الفتح بيان كيفية أخذ عبد الله لبقية القرآن فقال : (زاد عاصم عن بدر عن عـبـــد الله : »وأخـــذت بـقـيـــة الـقـــرآن عـن أصحابه«)(29)، ولأهمية التلقي في تعلم القرآن نجد أن بعض الصحابة كانوا يوجـهـــون طلابهم إلى ضرورة التلقي عن المتلقي، فعن معد يكرب قال : »أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ عـلـيـنـا : طـسـم الـمائتين فقال : ما هي معي ولكن عليكم مَن اخذها من رسول الله -صلى الله عـلـيـه وسـلـم- خباب بن الأرت قـال : فـأتـيـنـا خباب بـن الأرت فـقـرأهــا علينا« (30)، بل إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعارض جبريل بالقرآن كل عام مرة وعام وفاته مرتين (31)، وكان يأمر أصحابه بالتلقي فيقول (اقرأوا القرآن من أربعة نفر : من ابن أم عبد ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة ومن معاذ بن جبل)(32).

11- اختيار مصحف معين في الحفظ حتى ترسخ مواضع الآيات في الذهن ولا يكون هناك تشتت..

12- الحـرص على الابتداء في الحفظ من آخر المصحف وبخاصة صغير الـســن أو ضعيف العزيمة، حتى يشعر أنه قد أنجز شيئاً في فترة وجيزة، حيث أن السور أكثر عـــدداً وأقل صعوبة ولديه خلفية عنها عن طريق مقررات القرآن في المدارس النظامية.

13- دعـــاء الله تعالى بالتوفيق والتمكين من الحفظ واللجوء إليه في ذلك لأن حفظ القرآن الكريم منة من الله وهبة.

خطوات عملية مقترحة لحفظ القرآن الكريم :

1- تحديد مـقـــدار معين لحفظه في جلسة واحدة في حدود طاقة القارئ وينبغي له أن لا يزيد كمية المقدار كثيراً في أيام حماسه وبخاصة في بداية الحفظ، حتى لا يكل أو يمل أو يصاب بالإحباط حين لا يستطيع المحافظة على ذلك المقدار، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تركه الحفظ بالكلية، بل عليه أن يربي نفسه على المرونة في تحديد المقدار جاعلاً نصب عينيه أن أهم قضية هي الاستمرار اليومي في الحفظ لا غير.

2- قراءة المقدار الـمـعـيــن على الشيخ المختار من المصحف قبل مباشرة الحفظ وتلزم هذه الخطوة إذا كان القارئ لا يجيد قراءة الرسم العثماني.

3- قراءة القارئ المقدار المـحـــــدد للـحـفـظ من المصحف بينه وبين نفسه لإصلاح النطق في الكلمات التي لم يجد قراءتها.

4- أن يحفظ القارئ المقطع آية آية، ويقوم بربط الآية الثانية بالتي تليها وإذا كانت الآية الواحدة تقل عن سطر فآيتين آيتين بحيث لا يـتـم الــــزيادة على سطرين أو ثلاثة في المرة الواحدة.

5- أن يرفع الصوت بتوسط أثناء الحفظ لأن خفض الـصــوت يـكـسـل القارئ ورفعه جداً يتعبه ويؤذي من حوله، هذا في الأصل أما لو كان خاشعاً، خالي الذهن وخفض صوته فلا بأس لكن لابد من القراءة باللسان، أما إمرار العين بدون تحريك اللسان فلا.
6- نطق الآيات أثناء الحفظ بترتيل وتمهل، والحرص على عدم إغـفـــال أحكام التجويد أثناء القراءة امتثالاً لقوله تعالى ((ورتل القرآن ترتيلاً))(33) واهتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في تركه تحريك لسانه استعجالاً به بعد نزول قوله تعالى ((لا تحــــرك به لسانك لتعجل به))(34)، ولأن هذا هو هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تعليمه القرآن لأصحابه، قال الله تعالى ((وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث))(3). ولقد سئل أنس بن مالك : كيف كانت قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : »كانت مدّاً ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم« (36)، وهذا ا لأمر كان ديدن كبار الصحابة، ولذا قال ابن عباس راداً على أبي حجر حين قال لـــه: إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث : »لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول«،وفي رواية »أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمةً« (37)، ولا شـــــك أن الترتيل أثناء الحفظ يعين على تدبر الآيات والتفكر في معانيها مما يعني جمع القارئ بين حفظ الآيات والفهم مبدئياً لمعناها، وهو مما يعمق الحفظ ويقويه أيما تقوية.
7- أن يُسمِّع على نفسه المقدار المعين حفظه بعد إنهائه له.
8- أن يقوم بقراءة المقدار المحفوظ من المصحف بعد تسميعه على نفسه للتأكد من سلامة الحفظ وعدم تجاوزه لبعض الآيات أو الكلمات أو الخطأ في الشكل.
9- أن يقوم بتسميع ما حفظ على شيخه المختار ولا بد من ذلك.
10- يفضل ربط المقدار المحفوظ من سورة ما قسمت إلى مقاطع بما حفظ من أول الـســورة يومياً ليتم الربط بين المقاطع المحفوظة، وهذا أمر لا دخل له في برنامج الحافظ للمراجعة.

ما يفعله الحافظ بعد أن يحفظ :

1- الخوف من الوقوع في الرياء :

والـريـــاء في موضوعنا : طلب الحافظ للجاه والمنزلة في نفوس الخلق بإظهاره لهم إكماله لحفظ الـقـــرآن، أو جودة حفظه وحسن أدائه، وهو ضرب من الإشراك، ولذا قال رسول الله-صلى الله عـلـيــه وسلم-: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رســـول الله. قال : الرياء يقول الله عز وجل - يوم القيامة إذا جزى العباد بأعمالهم - : اذهـبـوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)(38)، والمرائي بالقرآن معرض نفسه للعقوبة الشديدة الواردة في حديث أبي

هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)(39). والواجب على مريد النجاة الحرص على الإخلاص واستمرار سلامة القصد والنية.

2- الحذر من الغفلة عن العمل بالقرآن والتأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه :

لأن القرآن إنما أنزل ليعمل به، ويتخذ نبراساً ومنهاج حياة، قال ابن مسعود رضي الله عنه »أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً، إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً، وقد أسقط العمل به« (40)، وقال بعض أهل العلم : »إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم، يقول : ألا لعنة الله على الظالمين، وهو ظالم نفسه، ألا لعنة الله على الكاذبين، وهو منهم« (40)، وقال أنس رضي الله عنه : »رب تال للقرآن والقرآن يلعنه« (4).

3- الخشية من العجب بالنفس والتعالي على الخلق :

فالعجب استعظام النفس لـما بذلت من أسباب لتحصيل حفظ القرآن الكريم والله تعالى هو الهادي إلى ذلك والمعين على تسـهـيـلــه وتحققه، ولولا إحسانه وفضله لما تمكن العبد من حفظ القرآن أو بعضه، والواجب بدلاً مـــن ذلك شكر الله تعالى على نعمته بمعرفتها حق المعرفة وإسناد الفضل إليه سبحانه وحده لا شريك له في تحققها، والتعالي على الخلق هو التكبر عليهم واعتقاد العبد بلوغه مرتبة في الكمال لم يبلغها من حوله فيتجه إلى احتقارهم وتجهيلهم، ومن هذه حاله ينسى ما ورد مـــن النصوص في التحذير من مثل ذلك، ومنها قوله تعالى في الحديث القدسي : (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)(41)، وقوله -صلى الله عليه وسـلــم- (لا يدخـــل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)(42)..

4- تذكر النصوص الآمرة بتعهد القرآن والمحذرة من نسيانه :

وردت نصوص كثيرة تحث على تعاهد القرآن وتحذر من هجره ونسيانه ومنها :

* عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسـلـــم- قال : (إنما مثل صـاحـب الـقـــرآن كـمـثـل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطـلـقـهـا ذهبت)(43).

* وعن عبد الله قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت، بل نسي واستذكر القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم)(45).

* وعن أبي موسى عن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال : (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها)(46).
وبسبب هذه النصوص ومثيلاتها تحدث أهل العلم عن الزمن الذي لا يشرع للعبد تجاوزه سواء أكان من حيث القلة أو الكثرة في قراءة القرآن الكريم فأقل زمن يستحب قراءة القرآن فيه على المختار ثلاثة أيام لقوله -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو: (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)(47).
ولذا كان معاذ بن جبل يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث (48) وكان ابن مسعود يقول: (اقرؤوا القرآن في سبع ولا تقرؤوه في أقل من ثلاث)(49).
والحكمة - والله أعلم - في عـــــدم مـشـروعية قراءته في أقل من ثلاث أن لا تؤدي سرعة القراءة إلى قلة الفهم والتدبر أو الملل والتضجر أو الهذرمة وعدم إتقان النطق، وما ثبت عن السلف من قراءته في أقل من ذلك فهو محمــول إما على أنه لم يبلغهم في ذلك حديث من مثل الحديث السابق، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة(50)، أو أن ذلك كان في فترة حماس وكثرة نشاط أو وقت فاضل كرمضان ونحوه فأرادوا استغلاله لا أن يكون ذلك عادة لهم في سائر العمر.
وأما أوسع زمن جاءت النصوص مبينة مشروعية قراءة القرآن فيه فأربعون يوماً كما ورد فى حديث عبد الله بن عمرو أنه سأل النبي-صـلـى الله عليه وسلم-: في كم يقرأ القرآن؟ قال:(فى أربعين)(51)، ولذا قال إسحاق بن راهويه : (ولا نحـب لـلــرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث)(52)، وقال أيضاً : (يكـــره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن)(53).

5- نسيان القرآن سببه الذنوب والمعاصي :

جاءت الكثير من النصوص التي تجعل ذنوب العبد سبباً لما يصيبه من مصـائــب وبـلايـــا والـتـــي من أعظمها ولا شك نسيان القرآن الكريم، ومما جاء في ذلك قوله-صلى الله عليه وسلم-: (لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر)(54)، وقد كان هذا الأمر جلياً في أذهان السلف، ولذا قال الضحاك مزاحم : (ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لأن الله تعالى يقول : ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)) (55)، وإن نسـيـان الـقـــرآن من أعظم المصائب) (56)، بل إنهم - رحمهم الله تعالى- كانوا يقفون موقفاً صارماً ممــن هــــذه حاله كما جاء من طريق ابن سيرين بإسناد صحيح في الذي ينسى القرآن كيف أنهم كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً(57)، وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - سبب تلك الكراهية وذلك الموقف الشديد فقال : (من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخل بهذه المرتبة الدينية حتى تزحزح

عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن تَرْك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد)(58).
بل إن بعضهم يعده ذنباً كما روى أبو العالـيــة عن أنس موقوفاً (كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه)(59).
قــال ابن كثير - رحمه الله - :"وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى ((ومن أعــرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمـى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى))(60)، وهذا الذي قـالـه وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بـعـضـــــه، فـإن الإعراض عن تلاوة القرآن، وتعريضه للنسيان، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه"(61).

6- كيف تكون المراجعة؟

لا شك أن الطريقة الأسلم للمراجعة هي تخصيص وقت كاف غـيــــر وقت الحفظ يقرأ فيه المرء ما يفتح الله تعالى عليه فيه، ولكن نظراً لعدم قدرة كثير من الناس على تخصيص وقت معين لذلك فيمكن استخدام الطرق التالية :
(أ) - القراءة في السنن الرواتب غير راتبة الفجر تكون خمسة أثمان، في كل ركعتين ثمن.
- في ركعتي ما قبل العصر تكون ثمناً واحداً.
- في الصلوات المفروضة وقيام الليل تكون ثمنين.
وعلى هذا فالحد الأدنى في اليوم الواحد يكون جزءاً كاملاً من القرآن الكريم.
(ب) القراءة في الصلاة النافلة من غير الرواتب، وفي السيارة،. وبين الأذان والإقامة وأثناء الذهاب للدراسة أو العمل والعودة من ذلك... إلخ من حالات الإنسان المناسبة.
(جـ) الجلوس بعد الفجر ولو قليلاً للقراءة بحيث يلزم الإنسان نفسه أن يقرأ في ذلك الوقت شيئاً من القرآن الكريم ولو ثمناً واحداً.
(د) يمكن لأصحاب الهمم العالية استخدام طريقة (فمي مشوق) وهي طريقة كان يستخدمها بعض مشايخ الإقراء في أرض الكنانة بحيث أن الحافظ يستطيع مراجعـــة القرآن كاملاً في أسبوع واحد وبيانها كالتالي :
- الفاء من (فمي مشوق) للفاتحة والميم للمائدة والياء ليونس والميم لمريم والـشـيــن للشعراء والواو للصافات والقاف لسورة ق.
- فيكون المقدار في اليوم الأول من أول (الفاتحة) إلى أول (المائدة).
- وفي اليوم الثاني من أول (المائدة) إلى أول (يونس)
- وفي اليوم الثالث من أول (يونس) إلى أول (مريم).
- وفي اليوم الرابع من أول (مريم) إلى أول (الشعراء).
- وفي اليوم الخامس من أول (الشعراء) إلى أول (الصافات).
- وفي اليوم السادس من أول (الصافات) إلى أول (ق).

- وفي اليوم السابع من أول،(ق) إلى آخر المصحف الشريف.
(هـ) على من حفظ شيئاً من القرآن الكريم دون عشرة أجزاء أن لا يمر عليه خمـسـة عشر يوماً دون إتمام مراجعته.
والله نسأل للجميع التوفيق والسداد.

الهوامش :

(1) سورة الكهف:110.
(2) مسلم 2289/4 ح 2985.
(3) سورة التوبة:6.
(4) سورة البقرة:2.
(5) سورة البقرة:185.
(6) البخاري مع الفتح 9/ 74 ح 5527.
(7) البخاري مع الفتح 9/ 74 ح 5528.
(8) سورة ا لحجر:78.
(9) مسلم 1/ 559 ح 817.
(10) الترمذي 5/ 75 ح 2915 وصححه الألباني في صحيح الجامع. 5/345 ح 6345.
(11) كوماوين : الكوماء من الابل عظيمة السنام طويلته، قاله ابن منظور في اللسان 12/ 529.
(12) مسلم 1/ 552 ح 803.
(13) مسلم 1/ 553 ح 854.
(14) أبو داود 2/ 53 ح1464، وقال الألباني في صحيح أبي داود 275/1 ح 1350 "حسن صحيح ".
(15) مسلم 1 / 465 ح 673.
(16) البخاري مع الفتح 8/ 691 ح 937 4.
(17) البخاري مع الفتح 9/ 100 ح 5059.
(18) سورة فاطر:29.
(19) سورة ا لأعراف:204.
(20) التذكار في أفضل الأذكار، 91.
(21) سورة النحل:89، قال ابن سعدي في تفسيره حولها 4/ 230 (وقوله : ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)) في أصول الدين وفروعه وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد فهو مبين أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جليلة). ولا يخفى أن السنة جاء الأمر بالأخذ بها في القرآن في نحو قوله تعالى في سورة الحشر (7) ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))، فالعمل بها عمل بالقرآن.
(22) سورة القمر:17.
(23) الجامع لأحكام القرآن 17/ 134.

(24) سورة العنكبوت:69.
(25) مسلم 4/ 2547 ح 2699.
(26) تصحيفات المحدثين للعسكري 1/6
(27) المصدر السابق 1 / 7.
البخاري مع الفتح 9/ 46 ح 5000.
فتح الباري 9 / 48.
(30) المسند بتحقيق شاكر 6/ 34، وقال الشيخ أحمد شاكر "إسناده صحيح".
(31) انظر حديث أبي هريرة في البخاري مع الفتح 9/ 43 ح 4998.
(32) مسلم 4/ 1913 ح 2464.
(33) سورة المزمل:4.
(34) سورة القيامة:16، وانظر في الشاهد منها هنا تفسير ابن كثير
(35) سورة الإسراء:106.
(36) البخاري مع الفتح 9/91 ح 5046.
(37) فضائل القرآن لابن كثير (75).
(38) أحمد5/ 428، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 1/ 17.
(39) مسلم 3/1513 ح 1905.
(40) تهذيب موعظة المؤمنين 1 / 75.
(41) أبو داود 4/ 350 ح 4090، وصححه الألباني في صحيح الجامع 4/ 114 ح 4187.
(2 4) مسلم1 /93 ح 91.
(43) البخاري مع الفتح 9/ 79 ح 5031.
(44) قال ابن حجر في الفتح 9/ 81 تفصياً : أي تفلتاً وتخلصاً.
(45) البخاري مع الفتح 9/ 79 ح 5532.
(46) البخاري مع الفتح 9/ 79 ح 5033.
(47) أبو داود 2/ 116 ح 1394، وصححه الألباني في صحيح الجامع 6/ 242 ح 7620.
(48) ذكره ابن كثير في فضائل القرآن (80) وقال صحيح.
(49) ذكره ابن حجر في الفتح 9/ 97 وقال هو عند سعيد ابن منصور بإسناد صحيح.
(50) انظر فضائل القرآن لابن كثير 82.
(51) الترمذي 5/ 197 ح 2947 وحسنه الألباني في صحيح الجامع 1/ 37 ح 1165
(52) انظر جامع الترمذي 5/ 197.
(53) فضائل القرآن لابن كثير 70.

(54) الترمذي 5/ 377 ح 3252، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 4/ 240 ح 7609
(55) سورة الشورى:30.
(56) فضائل القرآن (70).
(57) فتح الباري 9 / 86.
(58) المصدر السابق 9/ 86.
(59) المصدر السابق 9/ 86، وقال ابن حجر " وإسناده جيد".
(60) سورة طه:124 -126.
(61) فضائل القرآن لابن كثير(69).
* التقسيم المشهور في المصحف العثماني أن يقسم المصحف إلى ثلاثين جزءا، ويقسم الجزء إلى حزبين والحزب إلى أربعة أرباع، فيكون الجزء ثمانية أرباع .
-البيان -

مـقـال

حقوق الناس بين الأخذ والعطاء

عـادل رشـاد غـنيم

حقوقك لدى الآخرين قضية مهمة عُني بـهــا الإسلام، وسن الأحكام لتقريرها وحمايتها، وبطبيعة الحال فإن حقوق الآخرين عليك هـي كذلك موضع عناية الإسلام، فحقوقك هي واجبات الآخرين تجاهك، وحقوق الآخرين هي واجباتك تجاههم.

ومن منطلق العدل طالبنا الإسلام باحترام حقـــــوق الناس بالقوة نفسها التي طالب فيها الناس باحترام حقوقنا، لكننا نجد أناساً مرضى بالأنانـيـة يطالبون بحقوقهم، وفي الوقت نفسه يرفضون أداء واجباتهم!.

ولقد وصف القرآن الكريم هذا النوع من الناس بقوله: ((وإن يـكـــن لهـم الحق يأتوا إليه مـذعـنـيـن)) (1)، أي أنهم لا يذعنون للحق إلا إذا كان لهم، أما إذا كــان الحق عليهم فالإعراض هو شأنهم.

وشــــرٌ من هؤلاء من أخذ حق غيره دون وجه مشروع، يقول رسول الله : (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ فقال: وإن كان قضيباً من أراك »(2).

والمـجـتـمـــــع الذي تعيشه تربطك بأفراده علاقات عدة، تنشيء بينك وبينهم منظومة من الحقوق المتبادلة، وعليك أن تنجح في هذه المعادلة الصعبة

فتعطي كل ذي حق حقه.. وهذا ما أكده حديث سلمان رضي الله عنه: (إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه »(3).
فالقرابة علاقـــــة اجتماعية يترتب عليها حقوق أسرية.. ((وآتِ ذا القربى حقه..))(4)، والجوار ينشأ عنه حقوق، كما في حديث عائشة رضي الله عنها: »مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه«(5).
والإسلام علاقة مكـيـنـــة تبني الأخوة التي توجب على المسلمين جملة من الحقوق: ففي صحيح مسلم (حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عـطــس فـحـمــد الله فشمته، وإذا مرض فـعـده، وإذا مــات فاتبعه) »(6).
وهناك علاقات تنشأ نتيجة العقود، وقد أحـاطـهــا الإســـلام برعاية كبرى لأنها من أهم مصادر الالتزام، فالقرض عقد يفرض على المدين حق السداد للدائن. عن أبي سعيد الخدري قال: جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يتقاضاه ديناً كان عليه، فاشتد عليه حتى قال له: أحرج عليك إلا قضيتني، فانتهره أصحابه وقالوا: ويحك! ترى من تكلم؟ قال: إني أطلب حقي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : »هلا مع صاحب الحق كنتم؟« ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لـهـا: »إن كـــان عـنـدك تـمـــر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضي لك »فقالت: نعم بأبي أنت يا رسول الله، قال: فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه، فقال الأعرابي: أوفيت أوفى الله لك، فقال -صلى الله عـلـيـــه وسلم-: أولئك خيار الناس، إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع »(7).
والتوظـيـف عقـــد يوجب على الموظـف أداء عمله وفق شـروط العقد ويجب على صاحب العمل دفع الأجر وسائر المستحقات للموظف (المسلمون عند شروطهم »)(8).
لقد أمرنا الله تعالـى أمراً صريحاً بالوفاء بالعقود والتزاماتها: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود...)) (9).
ومن غير المقبول أن يمتنع صاحب العمل عن إعطاء عماله أجورهم مستخفاً بها تماماً، كما هو غير مقبول من الـعـمـــال التقصير في المهام المسندة إليهم.. فهل أنت أخي القارئ ممن يعطي الحق من نفسه كما يريده من غيره؟!
إن الإسلام لا ينتظر حتى يثور النزاع بين الخصوم ليصل إلى ساحة القضاء لتفصل المحاكم في دعاوى الحقوق.. إنه يؤســـس مـحـكـمة داخل كل نفس إنها محكمة »تقوى الله« تصدر حكمها بالحق ولو على الذات.
ولنسمع قول رسولنا -صلى الله عليه وسلم- وهو يخاطب النفس المؤمنة: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجـلـحــاء من الشاة القرناء) (10). ومعنى ذلك أن يبادر الإنسان برد الحقوق إلى أهلها في حياته

قبل أن يقف موقفاً لا يملك فيه شيئاً، لهذا نصحنا رسول الله : (من كانت له مظـلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) (11)، وهذا هو الإفلاس الحقيقي الذي يجب أن نحذر الوقوع فيه..
لقد أعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- للإفـــلاس معنى أعم مما تعارف عليه الناس ودعني أذكرك بهذا الحوار الذي دار بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه: (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم لـــه ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا،وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا،فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار) »(12).
وعلى الرغم من وضوح هذه الحـقــــائق إلا أن بعض الناس يبيع دينه بأبخس ثمن، ويأكل حقوق الناس بالباطل وهو ذاهل عن الـمـصـير المظلم الـــذي ينتظـــره لذلك أقر الإسلام مبدأ الحماية للحقوق عن طريق القضاء برفع دعوى من قبل الشخص صاحب الحق..
وبالطبع لابد للدعوى من دليل أو بينة، فكما قال النبي: (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه) »(13).
وفي عالم القضاء وصخب الخصوم في المحاكم قد ينجح بعض الخبثاء من خلال إبراز بعض الحجج الملفقة، أو اليمين الفاجـــرة، أو شهادة الزور ويحصل على حكم قضائي لصاحبه، ولا يعني هذا أن ما أخذه أصبح حـقـاً له بل هو سحت، اقرأ بـيــــان ذلك عن أم سلمة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قـال: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، أقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار)(14).
أما اليمين الفاجرة فحسب صاحبها الـعـذاب الأكـبـر كما قال رسول الله: (لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار) »(15).
ونظراً لخطورة الشهادة على سير القضاء اعتبرت شـهـادة الزور مـــن أكـبـر الجرائم، (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ شهادة الزور »)(16).
وينبغي أن نتنبه لمسألة الـشـهـادة إذا دعينا إليها، فلا نشهد إلا بعلم ونلبي أداء الشهادة حينذاك: ((ولا تكتموا الشـهـادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه))(17).
وهكذا نساعد في حماية حقوقنا من العدوان عليها من قبل كل مغتصب غشوم. والله المستعان.

الهـوامـش:

(1)سورة النور:49.
(2)رواه مسلم، ك الإيمان، ج2، ص 57.
(3)رواه البخاري، ج4، رقم 1968، ج10، الأدب، رقم 6139.
(4)سورة الإسراء:26.
(5)رواه البخاري، ج10، رقم 6014، ومسلم 16، ص 176.
(6)رواه مسلم، ك السلام، ج14، ص 143.
(7)رواه ابن ماجة في ك الأحكام، رقم 2426، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، ج2، 55، برقم 1969.
(8)رواه البخاري معلقاً، انظر الفتح، 4، ك الإجادة، ص 527، ورواه أبو داود في الأقضية، والحاكم في المستدرك، ج2، 50.
(9)سورة المائدة:1.
(10)رواه مسلم، ج16، ص 136.
(11)رواه البخاري في المظالم، ج5، رقم 2449، وفي الرقاق، ج11، رقم 6534.
(12)رواه مسلم في البر والصلة، ج16، ص 135، وأحمد في المسند، ج2، 303.
(13)صحيح مسلم، كتاب الأقضية، ج2، ص 59، ط دار الكتب العلمية.
(14)البخاري في المظالم، ج5، رقم 3458، والشهادات، رقم 2670، ومسلم في الأقضية، ج12، ص، 5.
(15)رواه ابن ماجة في الأحكام، وأبو داود في الأيمان، ومالك في الموطأ، ك الأقضية.
(16)رواه البخاري، ج10، رقم 05976، ومسلم في الإيمان، ج2، ص 82.
(17)سورة البقرة:283.

حـوار

لـقـاء مـع فضيلة الدكتور:
ناصر بن عبد الكريم العقل

تـمـهـيـد:

فضيلة الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو باحث له اهتماماته العلمية والدعوية وله مساهماته الفكرية بعضها منشور وبعضها لم يرَ النور بعد.

تخرّج من كلية الشريعة بالرياض، وقد قــدم بحثه (التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية) وكانت رسالته في الماجستير عــــن منهج (المدرسة

العقلية في العقيدة) والتي لم تطبع حتى الآن مع أهميتها في بابها، أما رسالته في الدكتوراه فهي دراسة وتحقيق لكتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجـحـيـــم) وهو مطبوع، ومن دراساته المطبوعة عدد من الرسائل في (سلسلة دراسات في منهج أهل الـسـنـة) ولـــه دراسة عن (الجاهلية) ودراسة عن الفرق والمذاهب بالاشتراك، وتمتاز دراساته بالعلم والتحقيق.. هذا ما نحسبه، والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.. وقد التقت معه (الـبـيـان »وجـــرى مـعــه الحــوار التالي.

- الـبـيـان -

* يـتـقــاذف الـدعاة الآن تيارات مختلفة فما هو الأولى للبدء في التغيير في واقع المسلمين اليوم، فهناك مــن يـــرى أن الأولـوية في الدعوة للوعي السياسي، وآخرون يرون البدء في إنكار المنكرات التي عمت، وطائفة تـــرى في تحقيق التراث أهمية قصوى، وغيرهم يرون الجهاد، وطائفة ترى البدء بالتربية الفردية، فما هو الترتيب الطبيعي لسلم الأولويات في الدعوة إلى الله وفق تصوركم؟

- الأولى أن يبدأ العلماء والدعاة إلى الله تعالى في أمر الدعوة والإصلاح بما بدأ الله به وما بدأ به رسله، من تحقيق التوحيد والـعــبــوديـــــة لله تعالى والتحذير من الشرك والبدع والمحدثات في الدين التي تنافي التوحيد أو تخل به، ثم يثني كل داعية بالأهم فما دونه بحسب حاجة الأمة ومقتضيات الأحوال وإمكانات الدعاة، وهذه قاعدة شرعية عامة تقوم على النصوص ونهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله وعلى مقتضى الحكمة والبصيرة التي هي ركائز الدعوة وهذا هو النهج الذي يجب أن تقوم عليه كل دعوة من حيث المبدأ وبعد ذلك لا مانع أن تتوزع جهود الأمة بجماعاتها وأفـــرادها بين متطلبات الأمة مادام هذا الأصل مستصحب ومعقود عليه العمل والغاية والولاء والـبـــراء فتقوم طائفة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخرى بالجهاد، وثالثة بالعـمـل المؤسسي، ورابعة بالتربية، وخامسة بالسعي للنهضة بالأمة علمياً واقتصادياً... الخ، علـــى أن يـــدور الجميع حول المحور الأساسي وهو الاجتماع على التوحيد والسنة والجماعة وهدي السـلـــف الصالح اعتقاداً وعلماً وعملاً والالتفاف حول العلماء أهل الحل والعقد.. أما تنازع بعـــض الدعاة والجماعات حول الأولويات فأكثره من التحريش والخصـومات التي لا مبـرر لها؛ لأن كل منهم في مسلكه على ثغر، ومن لديه قصور أو تقصير أو غلو يجب أن يسدد وينصح ويعان على نفسه.

* الصحوة الإسلامية أصبحت ملء السمع والبصر، ورغم ذلك يكتنفها كثير من الأخـطـار والمعوقات، فما هي أبـرز معوقات الدعوة الإسلامية حالياً؟

إن أخطر المعوقات للدعوة وأبرزها في نظري ما يلي:

* النزاعات والخصومات بين الدعاة والجماعات الإسلامية (التهارش والتآكل) لاسيما وأن أكثر مواطن النزاع والخصومات في الاجتهاديات أو فيما يعذر به المخطئ.
* ضعف الفقه في الدين، ولا أقصد فقه الأحكام إنما فقه الأصول والمناهج والـقــواعــد والمصالح والمواقف، لاسيما أن أكثر القائمين على الدعوة في العالم اليوم من طائفة المثقفين والمفكرين الذين لم يتضلعوا من العلم الشرعي أو تربوا على مفاهيم لم تؤصل شرعاً.
* المكر الكبّار من خصوم الدعوة المتمثل في الصد عن دين الله تعالى والإعراض عن شرعه، والفساد في الأرض، وإيذاء عـبـاد الله ومقاومة الصحوة المباركة من قبل شراذم العلمانية المهيمنة في أكثر العالم الإسلامي.
* التحدي العالمي من قبل المشركين والكافرين والمنافقين، وما يحمله من وسائل وإمكانات وتخطيط.
وكل ذلك من باب الأذى، ومما تستلزمه الدعوة إلى الله، ويبتلي الله به المؤمنين، ثم تكون لهم العاقبة ((لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون))(1).
* الجاهلية مصطلح قديم أطلق على الفترة ما قبل الإسلام، والدعاة المعاصرون يتنازعون في اسـتـخـدام هذا المصطلح لوصف واقع المسلمين اليوم الذي يحكم بغير الشريعة، فما شرعية استخدام هذا المصطلح الآن؟
اسـتـخــــدام مصطلح الجاهلية له مفهومات كثيرة فهو بحسب ما أطلق عليه: وهو من العبارات الواردة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فهو يطلق على الجاهلية المشركية القديمة من حيث العموم.. ويطلق على بعض خصالها وأيامها وأسواقها وأحوالها، وعلى من وقع في شيء من ذلك: كالتبرج والنياحة والدعاوى القومية والفخر بالأنساب، وهذه الخصال وأمثالها جاهلية تطلق متى حدثت، ويقال لمن تلبس بها »فيك جاهلية« كما قال النبــي - صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم- للصحـــابي الذي عيّر أخاه: »إنـك أمرؤ فـيـك جاهـلـيــة-« حـديث صحيح-، وقال تعالى: ((ولا تَبّرَّجًن تَبّرَجَ الجاهـلية الأولى))
أما إطلاق الجاهلية في زماننا على العالم الإسلامي أو مجتمعاته على وجه العموم فلا يصح، لأن الأمة لا تزال على الإسلام بمسماه العام، ومـنـهــــا الصالح والطالح، ومنها الطائفة المنصورة التي لا يحصرها مكان ولا زمان، وإنما تطلق الجاهلية على الأحوال والأشخاص حينما نتحقق من المعارضة الصريحة للإسلام فيها، فيقال: نظام جاهلي، ودستور جاهلي، وعيد جاهلي، وشعار جاهلي، ودعوى جاهلية، وخلق جاهلي أو خصلة جاهلية ونحو ذلك.
* يضغط الواقع بقوة على الدعاة؛ فيدعو بعضهم إلى العزلة الكاملة عن المجتمعات، بينما يمـيـل آخـــــرون إلـى العزلة الشعورية (النفسية) ويرى غيرهم ضرورة الاندماج الكامل في المجتمع جسدياً وشعـوريـــاً كي

يستطيعوا التغيير، فما هو الوضع الطبيعي للداعية حيال هذه المجتمعات الإسلامية المنحرفة عن شرع الله؟
الوضع الشرعي والطبيعي في مثل ظروفنا الراهنة: أن المسلم ينبغي أن يخالط الناس، فيكثر سواد المؤمنين، ويرشد العصاة والمخالفين ويناصح الولاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصلح بين المختلفين، ويقيم الحجة على المعاندين والمنحرفين، بفعله أو بقوله أو بسلوكه، ويسد حاجة المسلمين فيما يستطيع، وكل ذلك في حدود الاستطاعة، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها؛ لأنه ورد في الحديث الصحيح أن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط ولا يصبر، وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى.. أما العزلة فغير واردة والعزلة التي جاءت في النصوص إنما تكون عند الفتن التي يخفى فيها الأمر على المسلم، فيعتزل الفتنة وملابساتها، لكن لا يعتزل الجماعة ولا يقطع نفعه عن الأمة.
* للبيئة أثر ملموس على الناس، والدعاة جزء من مجتمعاتهم، وذلك في الطباع والخصال الفردية وطرائق التفكير والسلوك الشخصي.. إلى غير ذلك؛ فهل يمكن تشخيص أثر البيئة على الدعاة في مختلف بلدانهم وأثر ذلك على الدعوة المحلية؟
إذا قل الفقه في الدين، وضعف العلم الشرعي؛ تحكمت في الناس الأهواء والمؤثرات ومنها البيئة بعاداتها وتقاليدها وظروفها، وللبيئة أثران: أثر طبيعي قد يعتبر شرعاً: كالعادات والتقاليد التي لا تتعارض مع الشرع ويقع في مصادمتها مفاسد عظمى، والأثر الآخر كالأحوال الجغرافية والمناخية والاجتماعية والقومية والقبلية التي ليس في اعتبارها مصادمة للنصوص، إنما قد تجلب مصالح للإسلام وللأمة، فهذا الوضع البيئي يكون له اعتباره شرعاً كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- تجاه القبائل وزعمائها من تأليف قلوبهم واعتبار انتماءاتهم القبلية في العقود والألوية ونحو ذلك وكما فعل الصحابة والتابعون وأئمة الدين في تنظيم الأقاليم وفي السياسة الشرعية.
* مرت الدعوة الإسلامية بصيغتها الجماعية المنظمة بمراحل طويلة بدءاً من الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في القارة الهندية وغيرهما لكن يلمس الجميع بعد أكثر من نصف قرن من بدء ذلك العمل حصيلة محدودة لا تتناسب مع الفترة الزمنية؛ فهل من أسباب طبيعية لذلك؟
أولا: أمور الدعوة لا تقاس بموازين الماديات ومكاسب المؤسسات والمنظمات والأحزاب، وثانيا: قد لا يتفق المقوّمون للدعوة على الحصيلة وحجمها؛ فلذلك أرى أن الذين قاموا بالدعوة إلى الله على بصيرة حصّلوا خيراً كثيراً، ونرجو أن يكون لهم في ذلك الأجر العظيم عند الله تعالى وكفى بذلك تحصيلاً .. ونحن نعلم أن هذه الدعوات كل منها بحسب ما وفق إليه من

السنة مأجورة على ما أحسنت به، وهي بهذا تتفاوت تفاوتاً عظيما فيما بينها، وفيما بين أتباعها وأفرادها، ومع ذلك فالنتائج المأمولة المتطورة أقل مما يتطلع إليه المسلمون، ومن أهم أسباب تأخر النتائج المأمولة:
* البعد عن النهج الأسلم في العقيدة والعلم والعمل والدعوة، وهو نهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة فإنه لا يصلح هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.
* ضعف الفقه في الدين، والعلم الشرعي الصافي، واعتماد الدعوة في الغالب على مجرد دعاة، ومفكـريــن، ومثقفين ليسوا علماء بالمعنى الشرعي وابتعاد كثير منهم عن العلماء ومناهل العلم الشرعي.
* التنازع والخصومات وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وهذه هي الحالقة التي تحلق الدين، وتوقع في الفشل والإحباط كما أخبر الله تعالى وأخبر رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكما هي سنة الله في الحياة، قال تعالى ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم))(2).
* كثرة البدع والمحدثــات والاتجاهات العقلانية والعصرانية وأحياناً العلمانية داخل صفوف الدعوات نفسها، فـضــلاً عن فئات كثيرة من الأمة ويزيد الأمر سوءاً أن بعض الحركات الإسلامية ترسخ البدعــة وتروج لها أو تقوم على أصول بدعية، فأنى لها النجاح؟!
* تفتقر الأمة الإسلامية حالياً إلي العلماء الربانيين والقادة المصلحين الذين يقودون الأمة إلى الخير والرفعة فما السبيل إلى إيجادهم؟
العلماء لا يصنعون إنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهناك أسباب ترفع من يوفقه الله إلى درجة العلماء منها:
* تحصيل العلم الشرعي على أهل الـعـلـم وبطــرقه الشرعية، والاتباع وسلامة النهج في العقيدة والتلقي والتحصيل والمواصلة والصبر في ذلك.
* التربية الإسلامية الخالصة، والعناية بالنشء، وتـوفـيــر وسائل طلب العلم الشرعي وأجوائه، وحمايته وتحصينه من المؤثرات الشيطانية المعاصــرة التي ظهر منها الفساد في البر والبحر.
* يرتفع العالم ويعلو شأنه بعلمه وعمله وإخلاصه ونفعه.. حين يكون قدوة وعَلَم.
* تعاني الجماعات الإسلامية على اختلاف مسمياتها أمراضاً تنخر فيها مما يتسبب في تأخر المسيرة وتعثرها، فما أبرز هذه الأمراض وما تشخيصكم لعلاجها؟
الجماعات الإسلامية جزء من كيان الأمة، بل هي أفضلها، على ما تعانيه من أمراض، الجماعات فيها خير كثير، ولكنها ليست على الدرجة المطلوبة شرعاً، وأهم الأمراض في نظري ما سبق ذكره والمتمثل في:
* الانحراف العقيدي، أو ضعف العقيدة، والجهل بالسنة أو التقصير في ذلك كله.

* قلة العلماء بينهم، والجفوة بين العلماء والشباب. والعلماء لهم حق على الجميع.
* ضعف الفقه في الدين والعلوم الشرعية وقواعد الشرع.
* الاعتماد على كتب الفكر والثقافة وحدها وإهمال الكتب الشرعية أو قلة الاعتماد عليها.
* المبالغة في الاهتمامات السياسية إلى حد الإدمان والهوس.
* التنازع والخصومات في الدين والدعوة.
* التحزبات والشعارات والولاءات غير الشرعية.
* العاطفة وقلة الصبر، ونحو ذلك.
* التشاؤم، واليأس وضعف اليقين بنصر الله ووعده.

* الناس حيال الصحوة فريقان: أحدهما مشفق من مستقبل غائم نظراً للواقع القاتم حالياً، وآخر مستبشر متفائل؛ فما مستقبل الصحوة بناءً على واقعها الآن في نظركم؟

المستقبل أمره إلى الله سبحانه علاّم الغيوب، لكن القرائن والسنن الكونية والشرعية تدل على أن المستقبل للصحوة، ومن ثم للإسلام إن شاء الله والصحوة في حاضرها تحمل مقومات القوة والغلبة وتباشير النصر بإذن الله، وقرائن ذلك:
* الانحدار السريع لقوى الكفر والباطل، فالشيوعية سقطت والرأسمالية تترنح، وإن لم تنهار فستخر.
* الصحوة في نمو وتكامل وقوة في جميع بقاع العالم رغم ما يعتريها من خلل لا يسلم منه البشر.
* الشعوب الإسلامية أدركت إفلاس جميع الحلول المستوردة العلمانية، وأن العودة لشرع الله ضرورة، ولعله من الخير أن قوى الشر لم تفقه هذه الحقيقة جيداً، وإن كانت شعرت بخطورتها لكنها لاتزال تفسرها بتفسيرات جاهلية.
* تحزب الأحزاب في جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية ضد الصحوة وعّدها التحدي الأخطر.. وهذه من علامات النصر للإسلام لو كانوا يعلمـون وأظـن هـذا التحـزب والكيد ضد الصحوة أعظم استفزاز سيكون للمارد الخامل النائم: أعني الشعوب الإسلامية.

لكن مع ذلك فالصحوة بحاجة إلى مزيد من الترشـيد والخبرة والتصحيح فهي بحاجة إلى العلماء والفقه الشرعي، وسلامة الاعتقاد والنهج والاعتصام بالسنة والخروج من حالة التنازع والتهارش والتآكل والعزلة إلى العمل الجاد وتحقيق الجماعة والتناصح والبناء العقدي والعلمي والعمل المؤسسي، والاهتمام بالمجتمعات والشعوب بأسلوب بناء لإعداد الأمة كلها لتحمل المسؤولية، حتى يكون الإسلام همّ الجميع.

الصحوة الإسلامية في الوقت الراهن بدأت في تخطي الأطر الحزبية والتحول من جماعات إسلامية محدودة إلى تيار إسلامي عام يطالب بعودة الإسلام إلـى مختلـف نواحي الحياة، وعودة الأمة الإسلامية لتستلم دورها في قيادة العالم، فما هو تصوركم لهذه الظاهرة؟

أرجو أن يكون الأمر كذلك، وإن كان فإن هذا يعني النقلة من طور الطفــولــة والمراهقة إلى الرشد، وأن الأمة كما أسلفت بدأت تتحسس مواطن الضعف فيها ومكانتها بين الأمم، وأن ريح الإيمان قد هبت وغرس الله بدأ يثمر، وأرى أن هذه الحقيقة أقوى من كـــل العوائق والعقبـات والخير كشجرة النعناع إذا قطعت منها غصناً أنبتت عشرة بإذن الله.

* مصطلح السلفية نسبة إلى السلف كثر استخدامه، فهل هو قصر على فئة انتسبت إليه، أم هو منهج لا يسع أحداً الخروج عنه؟ ما هو ورأيكم.؟

الـسـلـفـيــة تعني اتباع سبيل السلف الصالح أئـمـــة الهـدى أهل السنة والحديث الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة.. وهي بهذا الوصف الـصـــراط المستقيم وسبيل المؤمنين، ودين الحق والهدى الذي لا يسع أحد الخروج عنه، وإلا فارق الـحـــق والسنة والجماعة، كما قال تعالى ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى))(3).

التنازع بين المسلمين يؤدي إلى الفشل، فما سبب هذا التنازع بين الداعين إلى الله، خصوصاً عندما يستـظـل الجمـيــع بمنهج واحد (منهج أهل السنة والجماعة)، وما علاجه عملياً؟

أعظم أسباب الـتـنـازع: الأهــواء، والحزبيات، والانتماءات، وتصدر قليلي العلم الشرعي واتخاذهم رؤوساً، وهيمنة الـفـرق والبدع والمحدثات على كثير من المسلمين والجماعات.. والسبيل إلى الوحدة هو بتحـقـيـق التوحيد واتباع السنة وعقد الجماعة على الولاء الشرعي والأخذ بأسباب الحياة والعزة والنـصـر كما أمر الله وبذل النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وأسأل الله أن يبارك في هذه الصحوة وأن يـهـديـهـا سواء السبيل، ويجمع شملها، ويوحد كلمتها على الحق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

الهوامش:

(1) سورة آل عمران:111.
(2) سورة الأنفال:46.
(3) سورة النساء:115.

خواطر في الدعوة

كونوا شـامة في الناس

مـحـمـد الـعـبـدة

روى أبو داود بإسناد حسن من حــديـث ابن الحنظلية حين سأله أبو الدرداء أن يقول له كل يوم: كلمة تنفعنا ولا تضرك، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش«.

أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يغــرس فـي نفس المسلم الذوق السليم في هيئته ورحله، وكل شؤونه؛ لأن المنظر القبيح منفر للنفـــس، باعـــث على عدم الارتياح، وكأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يريد أيضاً أن تكون شخـصـيـة المسلم شخصية متكاملة، يعطي لكل حالة حقها، فهو حسن الثياب، حسن المظهر دون إســـراف ولا مخيلة عندما تستدعي الأمور ذلك، ويلبس لباس المهنة عندما يكون في مصنعه أو متجره، ويلبس لباس الحرب عندما ترتفع راية الجهاد ويلبس ما يناسب ذوقه وثقافته عنـدمـا يمارس الرياضة البدنية؛ ولكن التربية القاصرة وثقافة البعد الواحد التي سيطرت على الـمسلمين في عصور التخلف قد أبعدت المسلم عن هذه المرونة، فمنظره يثير الشفقة، أو يثير الاسـتـهـزاء مـــن أعداء الإسلام.

أعرف أحد الدعاة، وقد تمكن من كثير من العلوم النافعة له في دنياه وآخرته، وأتقن عدة مهن يدوية، فكان الناس حتى من خصومه في الفكر والمنهج يسألونه المساعدة، فيبادر غير متوانٍ لخدمتهم، فكان لهذا أثر كبير عليهم، ومثل هذا الأخ الذي أخذ أهبته واستعد لكل حالة هو شامة بين الناس.

هل من المبالغة أو المثالية أن تتكامل شخصية المسلم فتجمع هذه الجوانب المتعددة: أخلاق عـالـيـة مع القريب والبعيد، مساعدة للناس، وأن يمثل الإسلام في هيئته وكلامه وحركاته وسكناته..؟! كلا، ليس صورة خيالية، وإن تعذر ذلك فوجود عدد من الشباب المسلم يكون محط أنظار أهل حيه وقريته وزملاء عمله سيكون له تأثير كبير في تقوية الدعوة الإسلامية.

إن الـمـسلم حقاً هو (العملة النادرة) في هذه الأيام، وفي هذا العصر الذي كثر فيه الخبث، وكثر النفـــاق والمداهنة، وضُيّعَت الأمانة، وعبد الناس بطونهم وشهواتهم، فكيف إذا كان هذا المسلم شامة بين الناس؟!

وإذا كان العرب قبل الإسلام يقولون عن الذي تعلم القراءة والكتابة وأتقن السباحة والرمي بأنه (كامل)، فكيف إذا كان صاحب دعوة ورسالة قد استجمع خلال الخير، وأتقن كثيراً من الأعمال، وبذل كل ما في وسعه لقضاء حوائج الناس؟!

من فقـه الدعـوة

الاسـتـبـداد الـدعـوي!

أحمد بن عبدالرحمن الصويّان

[1]

يقال في اللغة: استبد برأيه، يعني: انفرد به.
والاستبداد صفة من صفات التسلـط وفرض الرأي بالقوة، وهو يقتضي تكميم الأفواه، وقطع الألسن؛ فلا تتحدث إلا في مجـال محدود لا تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير.. بل ينطلق الاستبداد أحياناً ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره، بل أنفاسه وزفراته..!
واعجباً لك..إذا كان هذا هو الاستبداد عندك، فكيف تتجرأ على وصف الدعاة بذلك..؟!
معاذ الله! فـلـيـس هــذا حـكـمــاً عاماً يتساوى فيه جميع الدعاة، ولكن بعضنا قد يأخذ بنصيب وافر أحياناً من هذه الصفة، وهذه الشريحة الدعوية لا ينبغي إغفالها أو تجاهلها، والاستبداد الدعوي إن صح التعبـيـر مـمـارســة تربوية ذات أبـعـاد خطيـرة، تقتل ملكات الإبداع والإنتاج، وتعطل الطاقات لذا كان لزامـــاً عـلـيـنــا أن نسلط الضوء عليها بجرأة، لعلاجها والتخلص منها.
وذكر الحقيقة كاملة قد يتبعها مرارة وحزن، ولكنها تنتهي بـالـسـعـادة، وقـــد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: »المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقـطـع الوسخ إلا بـنـوع مــن الـخـشــونـــة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة، ما نحمد معه ذلك التخشين«.(1)

[2]

أرأيت إلى ذلك المربي الذي لا يُحـب أن يسمع رأياً غير رأيه، ولا يرضى باقتراح أو نصح من أحد، فإذا تكلّم؛ فَمَن حوله سكوت، وإذا أشار؛فالناس له تبع، أتباعه ومريدوه حقهم السمع والطاعة، في المنشط والمكره، في العسر واليسر، في الخير والشر..!!
مفهوم الشورى عنده: إخبار الآخـــــرين بما يرى، فإن وافقوه فبها ونعمت، وإن خالفوه، فالشورى مُعلمة لا ملزمة.
إذا نظر إلى وجه مريده طأطأ المريد رأســـــه حياءً وخجلاً، واحمر وجهه وفرقع أصابعه؛ حتى إذا اشتد عوده، واستوى ساقه، أصبح بارعاً في اجترار الأفكار، وترديد الكلمات، لا يباريه أحد في فن التقليد، ليس له عقل يفكر فقد ضمر وتآكل مع طول العجز، واستفحال المرض، أقرب الأمثال إلى عقله: (مــن قـلّد عالماً لقي الله سالماً)، ولماذا يفكر ويجهد ذهنه، ويضيع وقته وبين يديه شيخه الجهبذ الذي أبصر الحقائق، وأدرك الأمور، وانكشفت له المعضلات..؟!
من أنت حتى تستشار أو تبدي رأياً..؟!
ومن أنت أصلاً حتى تفكر وتتأمل..؟!
أرأيتم كيف نمارس الاستبداد الدعوي..؟!

[3]

أرأيت إلى طالب العلم الذي يظن أنّ رأيــه هو عين الحق الذي لاحق غيره ولا يحق لأحد أن يخالفه أو يعترض عليه، اجتهاده قاطــع لكل اختلاف، ورأيه جامع لكل خير، فهو البحر الذي تجتمع عنده الأنهر، والوادي الذي تصب فيه الشُعَب..!

إذا خالفه أحد ضاق صدره، واضطربت نفـسـه، وتـزلـزت أقـدامـــــه، وإذا أفاق من هول الصدمة، سلّ سيوفه مستعداً للمبارزة والطعان، دون أن ينظر أحق هو أم باطل.

كل مـخـالـف لـه مبـطـل .. مـهـمـا كــان دلـيـلـه..!

وكـل مـعـارض لـه مـفسد .. مـهـمـا كـانت حجته..!

همه أن يتلقى عنه الأتباع، ومراده أن يستمع له الناس، كل تقليد مـذمــوم إلا تقليده..! أحكامه صارمة قاطعة، لا تقبل المناقشة أو المحاورة، ومن لم يقبل هذه الأفـكـار فلينطح برأسه الجدار..!

جلوا صارماً، وتلوا باطلاً   وقالوا صدقـنا؟ فقلنا: نعم!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد العلمي..؟!

[4]

أرأيتم كيف توأد الأفكار، وتخنـق الأصـــوات، وتحطم ملكات الإبداع والإنتاج، ويربى الخانعون..؟! أخزى الله الاستبداد، فكم قــتـل من الطاقات وكم قطع من طرق للتصحيح والتغيير..!

كان السلف الصالح والأئمة الأخيار يختلفون فيقول قائلهم: »جائز ما قلتَ أنت، وجائز ما قلتُ أنا، وكلانا نجم يهتدى به فلا علينا شيء من اختلافنا«(2). ويقول الآخر: »ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة؟«(3).

أما نحن إذا اختلفنا، فلسان حالنا: (ما أريكم إلا ما أرى..!).

إن مصادرة آراء الآخرين، وغلق الأبواب فـي وجـوهـهــم؛ يجعل جذور الخطأ تمتد إلى الأعماق، ثم يصعب تصحيحها أو على الأقل تخفيفها؛ ولهـذا فنحن نحتاج إلى ترويض ومتابعة؛ لكي نتعلم كيف نقدّر الرأي الآخر، وننجو من مصادرة عقول الآخرين، والمنهج الشرعي يقتضي أن نقطع في الأمور القطعية التي قطع بها الـسـلـف الصالح، وأما المسائل الاجتهادية في فروع العلم سواء في الفقهيات، أو في فروع العمل الــدعـوي المتجددة فالأمر فيها واسع ولله الحمد والمنّة، والاختلاف فيها أمر وارد لم يسلم منه جيل الصحابة رضي الله عنهم وما وسعهم يسعنا، وما قد يكون واضحاً عندك، قد لا يكون كذلك عند غيرك، وما يتبيّن لك صوابه الآن قد يتبيّن لك خطؤه غداً؛ لأمر ينقدح في ذهنك، ولهذا تواتر عن علمائنا وأئمتنا أنهم يقولون في المسألة الفرعية الواحدة قولاً، ثم يقولون بخلافه بعد ذلك.

وها هو ذا الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يريد أن يحمل الناس على كتاب الإمام مالك بن أنس الموطأ، ويوحدهم على رأي، فيقول له الإمام مالك: »لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من قبل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغـيـــرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم«. قـــال الحـافظ ابن عبدالبر القرطبي: »وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم«(4).

ورحم الله الإمام الشاطبي حيث يقول: »فإن الله حكم بحكمته أن تكون فروع الـمـلـة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النُظّار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عـــادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف«(5).

إن الاستبداد خصلة لا يعجز عنها أحد في الغالب، وهو دليل على العجز والضعف. ولكن فتح أبواب المشورة، والتراجع عن الخطأ، واتساع الصدر للرأي المخالف، منزلة لا يرقى إليها إلا عباد الله المخلصون.

الهوامش :

(1)مجموع الفتاوى (28/53).
(2)جامع بيان العلم وفضله (2/87).
(3)سير أعلام النبلاء (10/1617).
(4)جامع بيان العلم وفضله (1/132).
(5)الاعتصام (2/168).

نصـوص شـعرية

عندما تعـود الريـح

د. محمد بن ظافر الشهري

عن زمِن الفشلْ
يسألُ من سألْ
وعن ذَهابِ الريحْ
عن تكالبِ الدولْ
وعن دمائنا تراقْ
وعِرضنا يباحْ
وعن صغيرنا يساقْ
وشيخنا يُذَلّْ
فقلت لا: تسلْ!

***

في زمن الفشلْ
يُشيّعُ القاتلُ مَن قَتَلْ!
يُعَيّرُ العادلُ أن عَدَلْ!
ويوصفُ الجائرُ بالبطلْ!
يعترفُ البريءْ
بأنه جَنَي
ويذكُر الفاعلُ ما فعلْ!
***
في زمن الفشل
يعيشُ كل كافر حراً بلا قيودْ
وكلّ من أسلمَ مُعتَقَلْ!
وينتخي اليهودْ
وأمةٌ تسودْ
وأمةٌ تشاءْ
وأمة تريدْ
وأمة واحدة فقطْ..
في قبضة القيود لم تزلْ!
***
في زمن الفشلْ
يستبدل الناس بـ »لا«: »أجل«!
فيمعن اللصوصُ في..
»إعادة الأمل«!
في وضح النهار
ودونما وجلْ..
لسانُهم كنومنا طويلْ!
وسمعهم يُطربُهُ العويلْ
وسيفهم يكفرُ بالعَذَلْ!
***
في زمن الفشلْ
كُفّنَ في جرابه الحُسامْ
وكبر الإمامْ
بأربع أعقبها السلامْ
فطاب للثعالب المقامْ..
ولم تعُد تلجأُ للحِيَلْ!
***
في زمن الفشلْ

العلمُ لا يهتفُ بالعملْ
العلم كي يُرَي
العلم للثراءْ
العلم للمراءْ
العلم للجَدَلْ!

***

في زمن الفشلْ
يكون في الدعاةْ
من لا يكون همّهُ
عبادة الإلهْ
ولا يكون همّهُ
نصيحة العصاةْ
ولا يكونُ همّهُ
صناعة الحياةْ
لكنّ كلّ همّهِ
تَصَيّدُ الزَلَلْ!
في زمن الفشلْ
يستعرُ اللهيب في البطونْ
والناس يأكلونَ..
يأكلونْ
وليس ثمّ أكْلْ!

***

في زمن الفشلْ
يُقذَفُ بالنساء للعملْ
ويصبحُ »القرارُ« للرجلْ!
وعندها تُضَيّعُ العيالْ
تسترجل النساءْ
يستنوقُ الجملْ

***

في زمن الفشلْ
ينحرفُ الكبارُ والصغارْ
فالشيخُ لا ينعم بالوقارْ
والطفلُ قد شَبّ على الصّغارْ
والأمّ في المساءْ
تلعبُ بالقمارْ
وفي النهارْ..

تعبثُ في شواطئ البحارْ
و »الزوجُ« مستعارْ..
متيمٌ يسكرهُ الغَزَلْ

***

عن زمن الفشلْ
يا أيها السائلُ لا تَسَلْ
واسأل عن العودة للمُثُلْ
عن صحوةِ الهُدى
واثقةً تمشي على مَهَلْ
تسيرُ خلفَ خاتمِ الرّسُلْ
تسيرُ لا تَمَلّ
فعندها وعدٌ بأنْ تَصِلْ
يا أيها السائلُ لا تسلْ
عليكَ بالعملْ
عليكَ بالعملْ.

دراسات تاريخية

منهج التفسير التاريخي قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها (1)

د. محمد آمحزون

يقصد بدراسة التاريخ معرفة الروابط التي تربط الأحداث والوقائع المختلفة؛ لتبيّن دوافعها ومنطلقاتها ونتائجها، واستخلاص السنن والعبر من خلالها، ويعتبر تعريف ابن خلدون في هذا الصدد تعريفاً جيداً، لأنه نصّ على وجوب النظر في الأخبار وتحقيقها، كما أكد على النظر في العلل والأسباب.

ومن هذا المنطلق، فالتاريخ ليس مجـرد سـرد للحـوادث فحسب، بل هو تفسير لتلك الحوادث وتقويم لها، ومن ثم أصبح التاريخ أحد الأسلحة التي تستخدم في مجال التوجيه وصياغة الأفكار ونشر المبادىء وتأييدها، كما أنه أصبح يأخـذ دوره في الصراع العقائدي بين الأمم، ولهذا لابد من دراسته وفق منهج معين.

لكن يا ترى ما هو ذلك المنهج المطلوب؟

فـي الاصطلاح اللغوي يقال: النهج، والمنهج، والمنهاج، وكلها بمعنى واحد، وهي تعني الطريق الواضح، وبمعنى آخر: السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم.
أما في الاصطلاح التاريخي، فالمنهج يعني في الدراسات التاريخية: القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي سواء أكان بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم.
ومن الملاحظ أن المنهج في الدراسات التاريخية عندما يطلق يراد به أمران: الأمر الأول: الـتـوثـيـق وإثبات الحقائق، والأمـــر الثاني: التفسير التاريخي، أي معرفة مصادر تفسير الحوادث والحكم عليها.
ويستنتج مـــن ذلك أن الـمـنـهـج قسـمـان: منهج التوثيق وإثبات الحقائق ومنهج التفسير التاريخي.
أما القسم الأول فيراد به دراسة سند الروايات التاريخية ومتنها بغية التثبت من النصوص وتمحيص الأخبار، وذلك بربط دراســــة التاريخ الإسلامي إلى حد ما بما يعـرف بـ »علم الجرح والتعديل«، وهو علم جليل يقوم على دراسة مستفيضة لأحوال الرواة والتحري عن ميولهم وصفاتهم وأخلاقهم وعقائدهم.
ومما لا شك فيه أن المصنفات في قواعد الروايـــة وفي علم الرجال يمكن الاستفادة منها في حقل التاريخ الإسلامي إلى حد ما، إذ تكشف النقاب عن قواعد التحديث وأحوال الرواة لتمييز القوي من الضعيف والصادق من الكاذب، وبذلك يُعرف لكل خبر قيمته، فتستخرج الروايات الصحيحة والحسنة، وتستبعد الأخبار الضعيفة والموضوعة وينبّه عليها، لاسيما وأن من أهداف الدراسات التاريخية إبراز الحـقـائــق التي تعتبر هدفاً منشوداً يتوخاه كل باحث نزيه.
لكن سنقتصر في هذه الدراسة على القسم الثاني من المنهج المتعلق بتفسير الحوادث، وذلك بذكر مجموعة من القواعد والضوابط التي يمكن من خـــلالهـــا الـحـكــم على الحــوادث التاريخية، وتفسيرها تفسيراً يتماشى مع النظرة الإسلامية للكون والإنسان والحياة.
فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ دين وعقيدة قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية، لأن العقـيــدة هي التي أنشــأت تلك الكيانات من الدول والمجتمعات بنظمها السياسية والإدارية والتعليمية والاقتصادية وغيرها.
ولأجل هذه الصفة، فإنه ينبغي دراسة الـتـاريــخ الإسلامي وفق التصور الصحيح والموازين الشرعية، على أن خصوصية التاريخ الإسلامي تتجلى في كونه منهجاً يوضح دور الإنسان ومسؤوليته عن التغير الاجتماعي والتاريخي في إطار المشيئة الإلهية، لأن التاريخ البشري في المنظور الإسلامي هو تحقـيــق الـمشيئة الربانـيـة من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في الأرض بقدر الله، وبحسب سنن معينة يجري الله بها قدره في الحياة الدنيا.

إن المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ لا يخرج عن دائرة المعتقدات الإسلامية، كما أنه مبني على دوافع السلوك في المجتمع الإسلامي، مما جعل حركة التاريخ الإسلامي ذات طابع متميز عن حركة التاريخ العالمي لأثر الوحي الإلهي فيه.

القاعدة الأولى: اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام:

ويرجع ذلك إلى اعتبارين اثنين:
الاعتبار الأول: لأنها أصدق من كل وثـيـقــــة تاريخية فيما ورد فيها من الأخبار، وذلك لصدق مصدرها وعلمه وهيمنته، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي، حيث وصلنا القرآن الكريم بالتواتر الموجب للعلم القطعي، وصحيح السنة وصلنا بمنهج علمي دقيق حيث اتبع علماء الحديث والرواية أرقى منهج علمي وأوثقه في تدوين السنة.
الاعتبار الثاني: لما تدل عليه من القوانين الـتـاريخـيـة والسنن الربانية والنظرة الشمولية لتاريخ البشرية كلها على مدار الزمان في الماضي والحاضـر والمستقبل، مما يعطي الباحث سعة وشمولاً في النظرة التاريخية، وعمقاً في تحليل الأحداث ومقدرة على تشخيص الداء، ووصف الدواء.
إن هذا الكون بما فيه الإنسان هو خلق الله؛ فلابد من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق، وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية، نجد السنن واضحة والاتجاهات محددة.
ومن المعلوم أن الوحي (الكتاب والسنة) وضع لنا السنن (أي القوانين الطبيعية والاجتماعية المبثوثة في الكون والأنفس والمجتمعات) التي تسير في إطـــارها الأحــداث، ويحـكـم من خلالها الأمم والدول والأشخاص.
ومن خلال السنن الربانية في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- نفهم التاريخ ونفسر أحداثه، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والبقاء، وعوامل الهدم والخـوف والسـقـــوط والتـدمـيــر، وهذه السـنن مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك. قال تعالى: ((قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبـيـن))(1). وقـال تعالـى: ((إن الله لا يغـيـر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))(2). فقانون تغير الحال إلى الأحسن أو الأسوأ هو تابع لجهد الإنسان، وسلوكه وتصرفه.
إن القرآن والسنة يعطيان الباحث المفاهيم والـمـبـادئ التي يمكن في ضوئها تفسير أحداث التاريخ والحكم عليها، هذا علاوة على ذكر ما سـيــــؤول إليه حال الأمة الإسلامية وما يصيبها من التفرق، وما يكون فيها من حركات الإصـلاح والتجديد، والإشارة إلى عدد من الأحداث والفتن، والموقف من بعضها، وقد اعتنى أهل السنة بجمعها ووضع أبواب لها في مصنفاتهم(3).

ولئن كانت المادة التاريخية في كتب السنة ليست بالـمـقــدار نفـسـه الموجود في المصادر التاريخية، إلا أن لها أهميتها لعدة اعتبارات منها:
أن مـعـظــــم مـؤلفـيها عاشوا في فترة مبكرة، وأغلبهم من رجالات القرن الثاني والثالث الهجري، مما يميز مصادرهم بأنها كانت متقدمة.
ثم إن المحدثين يتحرون الدقة في النقل، الأمر الذي يجعل الباحث يطمئن إلى رواياتهم أكثر من روايات الإخباريين.
على أن المحدث كان عند جمهور المسلمين أشرف موضوعاً، وأسمى منزلة من الإخباري، ويرجع ذلك إلى ضبط المحدث ودقته وتمحيصه للروايات التاريخـيـه وتحريه في القول، بينما كان الإخباري مظنة للإغراب والتلفيق والاختلاق.

القاعدة الثانية: الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث:

إن دارس التاريخ الإسلامي إن لم يكن مدركاً للدور الذي يمثله الإيمان في حياة المسلمين، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً لأحداث التاريخ الإسلامي.
وعلى سبيل المثال: فهجرة المسلمين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كانت هجرة من أجل المبدأ، يوجهها الإيمان الذي كان بالنسبة للمسلمين المهاجرين المحرك الذي ساق الأفراد والجماعات إلى مصائرهم وإلى صـنــع تاريخهم، فلم تكن هجرة من أجل الوطن أو المال أو المنصب، إذ تركوا من ورائهم وطنـهـــم وأموالهم ودورهم ومتاعهم فراراً بدينهم من الفتن واستمساكاً بعقيدتهم، فقدموا بذلك مثالاً عالياً من التضحية والإخلاص في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا.
أما أهل المدينة وهم الأنصار الذين آووهم في بيوتهم وواسوهم بالمال ونـصـروهم، فقد قدموا بذلك المثل الصادق للأُخُوّة الإسلامية، تلك الأُخُوّة التي لم يجعلها الإسلام لفظاً فارغاً أو تحية تثرثر بها الألسنة، وإنما عملاً مرتبطاً بالدماء والأموال، وبعواطف الإيثار والمواساة التي ملأت المجتمع المدني بأروع الأمثال.
قال تعالى في شأن هذه المواقــف الإيمانية: ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً مــــن الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون * والـذيــن تبوَّأوا الــدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون))(4).
كما أن المجاهد المسلم عندما يقاتل في سبيل الله يعلم أنه ليس وحده الذي يقاتل الكفار، وأنه لا يقاتلهم بكثرة الجنود ولا بتفوق السلاح وحده إن توفر ذلك له وإنما يقاتل بالإيمان الصادق الذي يحمله، وبما يعلمه من تأييد الله

للمجاهدين الصادقين، وما يمدهم به من وسائل مادية ومعنوية كقتال الملائكة إلى جانبهم أو تسخير عوامل طبيعية لهم أو تثبيت قلوبهم بإنزال السكـيـنــة والطمأنينة عليهم، أو بما يمدهم بـه من الصبـر وقوة التحمل، ورباطة الجأش إلى غير ذلك من الوسائل المنظورة وغير المنظورة.. فقد أنزل الله الملائكة يقاتلون إلى جانب المسلمين في معركة بدر، قال تعالى: ((إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من المـلائـكـــة مردفين))(5). وأرسل الله ريحاً شديداً فرقت الأحزاب المحاصرة للمدينة يوم الخندق، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليها ريحا وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيراً))(6).
وعند البحث مثلاً عن الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين في معركة اليرموك سوف نجد أن عدد الروم ستة أضعاف عدد المسلمين، وجيش الروم جيش نظامي مدرب وجيد التسليح، بينما الجيش الإسلامي أقل منه عدداً وعدة وتدريباً، ويقاتل بعيداً عن مركز الخلافة، ومع ذلك حصل له النصر المبين.
على أن المتأمل والباحث في الأسباب المادية المنظورة بحثاً عقلياً مجرداً لا يستطيع أن يقبل نتيجة المعركة رغم أنها متواترة حساً وواقعاً، وهذا يرجع إلى الجهـل بالعـوامـل الحقيقية المحركة للتاريخ الإنسـاني في غيبة العلم الصحيح وإلى إغفال سنن الله في الخلق، وهي سنن ثابتة وصارمة، ((فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً))(7)، ومن السنن التي أوضحها القرآن الكريم قانون التدافع أو سنة الصراع بين الإيمان والكفر عبر تاريخ الإنسانية الطويل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن خلال هذا الصراع يختبر الله عباده المؤمنين ويميزهم بالابتلاء ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب))(8).
ويبين سبحانه وتعالى أن المؤمنين إذا تميزوا بالثبات على العقيدة والإيمان وأداموا ذكر الله وطاعته ووحدوا صفوفهم واعتصموا بالصبر، فإن النصر حليفهم وإن كانوا قلة ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله))(9)، ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سـبيلاً))(10)، ((وكان حقاً علينا نصر المؤمنين))(11)، ((إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم))(12)... إلى غير ذلك من السنن الساطعة والحقائق الثابتة.
لكن الله أمر المؤمنين بالأخذ بالأسباب وحشد الطاقات والإمكانيات المتاحة للوصـــول إلى القوة اللازمة لإرهاب العدو والتمكين للإسلام ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم))(13).
وأوضح أن الجهد الإنساني للمؤمنين هو الذي يحسم الصراع لصالح الإيمان وعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، لذلك شرع سبحانه الجهاد ((ولولا دفع

الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجـــد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز))(14).
وأخيراً، فإن الله أوضح أن عاقبة الصراع تكون دائماً للمؤمنين مهما طال الطريق وعصف بهم طغيان الباطل ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً))(15).

القاعدة الثالثة أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين:

إن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية وفي تفسير حوادثه والحكم عليها، لذلك ينبغي في تفسير التاريخ الإسلامي الرجوع إلى المصادر الشرعية لمعرفة دوافع السلوك في المجتمع الذي نشأ وتكون على هدي الشريـعـــة وشكل حياته ومفاهيمه وفقاً لها، وكانت تعليماتها وأوامرها ونواهيها موجهة لجميع شؤون حياته.
إنه لابد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس في صدر الإســـلام وعـــلاقة هذه البواعث بالحوادث والعلاقات الإنسانية والاجتماعية، ونظم الحكم وسياسة المال، وطرق التشريع ووسائل التنفيذ في إطار المبادئ والمفاهيم والقيم الإسلامية.
إن دوافـع السلوك في المجتمع الإسلامي الذي تهيمن عليه العقيدة كانت في صدر الإسلام تتأثر كـثـيراً بالتطلع إلى ما عند الله، إلى الجزاء الأُخرَوي وصفوة المؤمنين عادة لا يشركون دوافع أخـــرى في سلوكهم، إذ لابد من إخلاص النية لله تعالى في كل أعمال المسلم سواءاً أكانت جـهــاداً بالـنفـــس أم نشاطاً اجتماعياً أم اقتصادياً أم سياسياً، فعمل المسلم في كل مجالات الحياة يدور حــــول إرضاء الله تعالى، ويعرف المسلم أنه إذا أشرك في نيته وآثر الدنيا فإنه يحبط عمله، كما ورد في الحديث الشريف »إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغي به وجهــه«(16). وإذا كــان هــذا الـتصـــور يتحكم في كثير من المسلمين الملتزمين اليوم، فكيف كان أثر ذلك في جيل الصحابة والتابعين وهم خير القرون!
إن معـرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام، وتزكية أرواحهم والتوجه إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة، يجعل من البدهي التسليم بأن الدافع لهم فـي تـصـرفـاتـهـــم وسـلـوكهم لم يكن دافعاً دنيوياً بقدر ما كان وازعاً دينياً وأخلاقياً يـحــث على فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
ولأجل ذلك يجب استعمال الأسلوب النقدي في التعامل مع المصادر التاريخية، وعـــــدم التسليم بكل ما تطرحه من أخبار، وإحالة رواياتها قبل القبول بها

علـــى المـجــرى العام للمرحلة التاريخية لمعرفة هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلـك المرحلة أم لا؟

وهكذا توضع الوجهة العامة للمجتمع الإسلامي وطبيعته وخصوصيته في الحسبان، وينظر إلى تعصب الراوي أو الإخباري أو المؤرخ من عدمه، فمن لاحت عـلـيـــه إمارات التعصب والتحيز بطعن أو لمز في أهل العدالة والثقة من الصحابة، أو مخالفة لأمر معلوم في الشريعة أو عند الناس، أو معاكسة طبيعة المجتمع وأعرافه وقيمه الثابـتــة، ففي هذه الأحوال لا يؤخذ منه ولا يؤبه بأخباره لأن الـتـحـيـز والـتـعـصـب حـجـــاب ساتر عن رؤية الحقيقة التاريخية.

وللحديث بـقـيـة..

الـهـوامـش:

(1)سورة فاطر:43.

(2)سورة الرعد:11.

(3)أفرد لها الإمام البخاري كتابا في الجامع الصحيح سماه »كتاب الفتن« وكذا مسلم في الجامع الصحيح »كتاب الفتن وأشراط الساعة«، وأبو داود في السنن »الفتن والملاحم«، وغيرهم.

(4)سورة الحشر:8،9.

(5)سورة الأنفال:9.

(6)سورة الأحزاب:9.

(7)سورة فاطر:43.

(8)سورة البقرة:214.

(9)سورة البقرة:249.

(10)سورة النساء:141.

(11)سورة الروم:47.

(12)سورة محمد:7.

(13)سورة الأنفال:60.

(14)سورة الحج:40.

(15)سورة النور:55.

(16)أخرجه النسائي في السنن، كتاب الحج، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، ج6، ص 25.

المسـلمون والعالم

ليس دفاعاً عن السودان

قراءة هادئة في قضية طرد السفير البريطاني من السودان

د. عبد الله عمر سلطان

أوكلت القناة الرابعة في التلفاز البريطاني إلى الصحافي الشهير »روبرت فيسك« إعداد حلقات مسلسلة عن العلاقة بين الإسلام والغرب عنوانها »من بيروت.. إلى البوسنة إلى آخر العالم« خَلُص فيها إلى أن نظرة الغرب إلى الإسلام قائمة على ثلاثة عوامل مشتركة: سوء النية.. وسوء الفهم.. والاتهامات الجاهزة (المعلبة)!!

في ثنايا الشريط التلفازي الذي يتألف من أربع حلقات، تمتد لأربع ساعات يقف »فيسك« أمام أنقاض أحد المساجد في البوسنة وهو يقول: »الحكومات الغربية تريدنا أن نفكر في السلام في الشرق الأوسط، وقد كانت تفضل ألا نشاهد الدمار، وأن لا نكتب عنه.. إنها تفضل لو أننا خرس«.

ويتجول فيسك في جولته في قرية بوسنية تقع في الشمال بعد أن زارها قبل عام حيث كان المسجد الجريح المحطم قائماً يذكر فيه اسم الله، ويرفع فيه ذكره، أما الآن فمراسل جريدة »الإندبندنت« يستعرض لنا الخراب الذي حل ببيت الله ويعلق قائلاً: »إلى متى سيتحمل المسلمون هذا النوع من العنف؟! إلى متى نردد أننا لا نفهمهم حينما يحاولون إجهاض هذا العنف الموجه ضدهم؟! بل إننا (يعني قومه من الغربيين) نحب أن نطلق عليهم وصف الإرهابيين المتطرفين.

إنني حينما أرى كل مرة هذا الدمار أتساءل بيني وبين نفسي عما يخبئ لنا العالم الإسلامي.. ربما كان على تقاريري الصحفية أن تنتهي دائماً بالعبارة التالية: احذروا جيداً..!!، لقد لمس المراسل البريطاني في برنامجه التلفازي حصاد المرارة وشوك المعاناة التي تحاصر العالم الإسلامي شرقاً وغرباً؛ بسبب »العنف« الغربي الذي يؤله »المادة« ويعبد »القوة«، ويستخدم مصطلحات التسلط وترسانة الأسلحة للتعامل مع عالم إسلامي ممزق ومحاصر وملاحق.. وكانت الصور المعروضة تزيد من خوف الغربي من هذا المخلوق المُرعب والمُرعَب في اللحظة نفسها دون تقديم تفسير عميق لحالة الغضب التي تجتاح آحاد المسلمين اليوم كلما ذُكر الغرب أو حضرت إلى خشبة مسرح الحياة آلياته القمعية بصورها المتعددة.. إن ذلك لا يلمس إلا في لقطات خاطفة حينما يعرض فيسك بالصورة ضحايا العربدة الإسرائيلية في لبنان منذ 1982م، ويقدم بصورة مباشرة لا لبس فيها شخوص الحدث:مدني مسالم تلاحقه قنابل النابالم التي زرعتها قوات الغزاة في أجساد الأطفال والنساء والشيوخ، وما غفل عنه فيسك أو مر عليه مروراً عابراً هو تعريفه للعنف: هل هو الصورة الساذجة لإخضاع القوي للضعيف بمنطق السوط وقانون »الدهس«؟!

صحيح أنه يلامس مشـاعــر المسحوقين لكنه لا يركز على صور العنف الدبلوماسية والمكر السياسى وقفازات الخنق الحـريـريــة التي تستخدمها الحكومات الغربية التي تريد من وسائل إعلامها أن تصمت!!
تصور لو أن حكومة إسلامية قوية »ومـسـتـقـلـة« قــررت أن يقوم رأس الهيئة الدينية فيها بزيارات إلى الهند تلبية لدعوة رسـمية من قبل حكومة نيودلهي وذلك للتخفيف من حدة النزاع الدائر بين السـلطات الهنديـة والـمسـلمين في كشمير وبعـد إعداد التفاصيل من قبل سفير هذه الدولة ثبت للحكومة الهندية أن السفـيـر الـمـسـلم لهذه الدولة الافتراضية كان يجري اتصالات سرية بالحركة الإسلامية المسلـحــة في كشمير التي تنقسم إلى عدة فصائل من أجل توحيدها لضرب الحكومة المركزية في نيودلهي، وقد استطاع إقناع تلك الشخصية الإسلامية المرموقة أن يغير خط سيره إلى »جيب جغرافي« يسيطر عليه المجاهدون في كشمير حتى يظهر عدالة القضية الكشميرية التي أصدرت الأمم المتحدة حيالها قرارات واضحة توصي بحق سكان المنطقة في تقرير مصيرهم!!
السؤال: كيف سيكون تصرف حكومة نيودلهي تجاه مثل هذا العمل الاستفزازي بل كيف سيكون موقف الإعلام العربى »المحايد« و »المستقل«! تجاه تصرفات هذه الشخصية الإسلامية التي شوهت صورة التسامح وشرخت بتآمرها »عدالة الإسلام واعتداله«!!
لكم أن تتصوروا ذلك.. كما لكم أن تتخيلوا أن هذه الشخصية هي شخصية الشيخ ...!! ألن يحاضر المعتدلون والشرق أوسطيون وزعماء الجنوح إلى السلام عن بشاعة التطرف وسوء خلق »المتاجرين بالدين« وتيار الاستفزاز الأصولي؟!
ثم ماذا سيكون موقف الحكومات الغربية ووسائل إعلامها التي دائماً ما تحض على ضبط النفس إذا كان الضحية بلداً مسلماً بينما تفرغ »عنفها« وتسـلـطـهـا« و »إرهـابـهــا الـسـياسي« والإعلامي إذا كان المُستفَز دولة من دول العالم .. بل حتى دولة أقدس رموزها حـيــوان يدب على أربع...؟
لـقـــد قــام الأسقف البريطاني »جورج كيري« بالدور الافتراضي نفسه الذي رسمنا خطوطه العريضة حينما قرر زيارة السودان .. وبالطبع من حق أسقف كانتربري أن يزور السودان لألف سبب أهمها رعاية أبناء معتقده، وعلى حكومة السودان أن تكون »متحضرة« و »معتدلة« وأن تهيء له كامل وسائل الراحة والاستجمام لأكبر رمز انجليكاني في العالم، ومن حق السفير البريطاني أن يتدخل حتى في نوعية الحليب الذي يقدم لقداسته!! لكن هل من حق السفير أن يسلك سلوكاً تعتبره الدولة المضيفة تآمراً وبأسلوب مكشوف ليعلن الأسقـف قبل يوم واحد من الزيارة أنه سيزور معاقل المتمردين »الصليبين« في الجنوب وأنه لن يزور الخرطوم التي يستعمر حكامها المسلمون رعايا الكنيسته .. في الجنوب؟!

هل من حــق »سـفـيـر« أو »خفير« يمثل دولة حضارية أن يقدم أوراق اعتماده لرأس الدولة ثم يسحب قولاً وفعلاً الـشـرعـيــة التي تعترف بها دول العالم لحكومة السودان ليقدمها إلى فصائل التمرد الصليبي المتناحرة دون حياء أو خجل؟!
إن هذا التصرف لا تقبله أي دولـة تدعي الاستقلال فضلاً عن أن تكون مستقلة فعلاً حتى ولو كانت إحدى دويلات جزر الكاريبي التي يطلق عليها المستعمرون البريطانيون سخرية اسم »جزر الموز«.
وللأسف إن بريطانيا تتولى دون مواربة تجميع القوى المناوئة للحكومة السودانية الحالية في داخل السودان وخارجه حتى أصبحت لندن بؤرة تجمع ودعم لكل من يحاول تفتيت السودان تحت شعار إسقاط النـظــام الأصولي .. والسفير البريطاني له قدم سبق في ذلك لا سيما وأن عواطف صليبية حميمة كانت تحركه وهو المولود في جواتيمالا »أمريكا اللاتينية« والذي تربى ليكون منصراً لا دبلوماسياً خصوصاً وأنه فيما يظهر متشبع بفكرة تحطيم كيان السودان القائم لصالح المشروع الصـلـيـبـي المنطلق من الجنوب والذي يُسوق عالمياً على أنه نظام عالمي جديد..
أي نظام هذا؟! وهو يغذي الانقسام والفـوضـى والـحـــرب الأهلية في القطر الواحد.. أي عالمي؟! إلا إذا كان منطلقاً من المفاهيم العنصرية الاستعمارية للقوى الغربية التي ترى أن العالم نفسها!!
وأي جديد؟! وهو يعيد التذكير بدور المندوب السامي البـريـطـاني الذي كان يحكم النمور الكارتونية المتمثلة في رؤوس الأنظمة المستعمرة. وهل تغيير مـسـمــي الـمندوب السامي إلى السفير البريطاني يحمل معطيات جديدة للعملية الاستعمارية ومعادلة الهيمـنة والغطرسة التي كانت ولا زالت سائدة في خيال صانعي القرار في دول الغرب؟!
ثـم لا يـتـورعــون عن إطلاق تلك التصرفات باسم النظام العالمي الجديد. ألم يقل روبرت فيسك في نهاية شــريـطـه عبارة تلخص هذا الإفك بقوله: إذا كنت لازلت مؤمناً بالنظام العالمي الجديد فعليك ألا تشاهد هذا البرنامج.
ونحن نقول إذا كنت مؤمناً بالنظام العالمي الجديد فخذ أخبار السودان المطارد عن طريق هيئة الإذاعة البريطانية التي سـخـــرت مقـدراتـها الإعلامية الهائلة لمحاصرة السودان وتلميع حراب الحملة الصليبية ورموزها الحاقدة، هــذه الهيئة استطاعت أن تسخر هذا الحادث بصورة نمطية مُعدية، انتقلت بموجبها العدوى إلى الصحف العربية المهاجرة التي رحلت بجوارها وكأن هذه الحادثة هي الأولى من نوعها في التاريخ المعاصر، مع أن السفير البريطاني في كلومبيا قد سبق طرده في مايو 1991م دون أن يتحــول ذلك الـتـصـرف إلى »ملحمة إعلامية« مشابهة لقصة سفيرهم في السودان!! هل عرفتم من يعنون بالنظام العالمي الجديد؟!

لقد كان جديراً بروبرت فيسك أن يزور جنوب السودان وشماله ليسجل لقطات مـوغـلـة في البشاعة والتآمر على كل ما يمت للإسلام والعرب بصلة من قبل القوى الغربية، ليفهم لماذا كــان الـمسلمون يقيمون علاقتهم بالآخر الغربي بهذه الصورة وهم لا يرون ولا يلمسون ولا يعرفـــون الغرب إلا بصورة جسم يهودي مغروس في أحشائهم حيناً..، أو قصف وحشي يأخذ مداه المتغطرس المجنون ويقذف بالجحيم على العزل من سكان البوسنة، أو حصار اقتصادي ودعم لحركات بربرية في جنوب السودان تلقى كل الدعم من القوى الغربية لا لشيء إلا لأنـهـــا تريــد أن تشوه وجه السودان أكبر بوابة عربية مسلمة في قلب القارة، الخضراء.. هذا الوجه المسلم العربي يراد أن يستبدل ببيادق مجلس الكنائس العالمي ولتشن حملتها الصليبية دون مقاومة أو وجود فاعل!!

العقدة الصليبية هل يمكن حلها:

رفضت الخرطوم خطاب التهــديد ولغة الوعيد بسحب قرارها القاضي بطرد السفير (بيتر ستريمز)، وذكرت إذاعــة الخرطوم أن انتظار لندن رداً سودانياً بالتراجع عن هذا القرار »مضيعة للوقت«، وأن الســودان صبر طويلاً على ممارسات السفير والتصرفات غير المقبولة منه.. في الوقت نفسه كان الأسقـف الانجليكاني جورج كيري يكشف عن العقدة الصليبية التي تحكم العلاقة الغربية بالـعـالـم الإســلامــي حينما اجتمع بقادة الفصائل الصليبية الجنوبية وحضهم على تناسي خلافاتهم وتوحيد جهودهم (ضد من!) ووصف الانشقاق بين الفصيلين الرئيسيين للحركة الصليبية في الجنوب بأنه مأساوي!! ووصف هذا الرمز الصليبي زعيمي عصابات النهب والقـتل في الجنوب بأنهما من المدافعين عن الجنوب أي: أن هناك جهات أخرى لم يحددها تشارك في عملية الدفاع الحضارية التاريخية هذه، لقد تساءل وزير خارجية السودان في اليوم التالي لإطــلاق الـزعـيــم الديني تصريحاته الذي يُفترض أن يدع السياسة لأصحابها لأن معتقده يدعوه إلى ترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله قائلاً: هل كانت الحكومة البريطانية لتسمح لزعيم إسلامي بزيارة بلفاست (عاصمة إقليم إيرلندا الشمالية«) للتحدث مع زعماء الجيش الجمهوري الإيرلندي؟

بالطبع الإجابة معروفة خصوصاً مع معطيات المناخ العالمي المتحفز لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في أصقاع الأرض.

إن زيارة الأسقـف الانجليزي يجب أن توضع في إطار أعم وأفــق أرحــب فبريطانيا التي أقامت الدنيا قبل قرن من الزمان بعد أن قتل ثوار المهدية جنرالهم العتيد جوردن كانت تنظر إلى السودان نظرة عقائدية دينية بالدرجة الأولى حيث أن المصالح الاقتصادية لم تكن هي الأهم، لذا فإن كنيسة انجلترا هي التي رسمت خطوط حملة كتشنر الثأرية لتحويل السودان إلى دولة مسيحية بالكامل.. يقول الصَّديق محمد الأمين في تعليقــه على العلاقة

والحدث: »لقد أشرفت تلك الكنيسة على »حملة كتشنر ووضعت أسس التعليـم عـمـومـاً والـتـعـلـيـم العالي خصوصاً في السودان عبر تأسيس كلية جوردن. ولا يزال بعض وثائق الكنيسة الانكليزية الصادرة حديثاً جداً يتحدث عن أن السودان دولة مسيحية استولى عليها المسلمون »راجع كتيب اضطهاد المسيحيين في السودان الصادر باللغة الانكليزية عن جمعية الاخاء المسيحي مع السودان في تشرين الثاني/ نوفمبر 93).

طبعاً لم ينجح مشروع تنصير السودان، وظل إحساس كنيسة انكلترا بأنها راعية المسيحيين في السودان على رغم أن معظم هؤلاء لا يدينون بالانجليكانية.

لكن ذلك لا يفسر سر الارتباط الخاص بالسودان لدى الدوائر المعنية به في بريطانيا.

ومع ذلك ظـــل السودان مصدراً للمفاجأت غير السارة لاصحاب تلك النظرية، ولعل أولى المفاجأت تمثلت في رفض البرلمان السوداني. غداة الاستقلال الانضمام إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) وأخرها حادثة طرد السفير بيتر ستريمز، وبين الحدثين عناوين كثيرة أبرزها الغاء القوانين الانكليزية التي كانت تحكم السودان حتى عام 83 وابدالها بقوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، وتعريب الدراسة في الجامعات العام 91 وغيرها وغيرها...

إن بريطانيا في هــذا الـسـيــاق لا تتحمل استقلالاً سودانياً إذا كان خارج الإطار المرسوم، لاسيما إذا ذكرها بالمقاومة الإسلامية وشعارات مقاومة المهدية، أما اللاهثون وراء تجربتها التغريبية فلها معهم شأن آخر. ربما عبر الكاتب (جراهام توماس) عن إحساس أصحاب النظرية المشار إليها في كتابه: (السودان: موت حلم).

على أن سودان الحلم البريطاني ليس هو السودان الذي ينتهج »ديموقراطية وست منستر« كما يتوقع ويفهم من تصريحات المسؤولين البريطانيين.

والدليل على هذا أن بريطانيا لم تُبدِ أي اهتمام خاص بالتجربة التعددية الأخيرة في السودان (فترة الصادق المهدي) ولم تقدم لها أي دعم حتى ولو على المستوى السياسي، مع أن تلك التجربة التزمت قواعد الديموقراطيةالغربية في حـــدود خـبـرتها الاجتماعية. وعلى العكس من ذلك كانت كل الإشارات الصادرة من لندن وقتها تجاه الخرطوم سالبة منها:

الغاء رئيسة الحكومة آنذاك مارجريت تاتشر زيارة معلنة إلى السودان من دون ذكر أسباب مفهومة للسودانيين وقتها، في حين أن السودان كان الدولة الوحيدة في أفريقيا التي تتبع الديموقراطية الغربية.. والمفارقة أن تاتشر كانت في جولة افريقية زارت فيها بعض دول الجوار السوداني. وكان للأمر دلالته التي أغضبت المسؤولين السودانيين إلى درجة التفكير في سحب السفير السوداني في لندن تعبيراً عن الاحتجاج.

لم تكن توجهات السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء السوداني آنذاك محل ترحيب أو ارتياح في العواصم الغربية وخصوصاً لندن، لا سيما حديثه عن »نهج الصحوة الإسلامية« أو علاقاته القوية بطهران وطرابلس الغرب في الوقت الذي كانت المواجهة بينهما ولندن على أشدها. فيما كانت حركة التمرد المسلحة في الجنوب تحظى بتعاطف واضح على مستويات التسلح والإعلام والسياسة على رغم أن توجهاتهما المعلنة كانت ماركسية!!
رد الفعل البريطاني على حادثة فندق الاكربول في عام 1988 في الخرطوم التي قتل فيها رعايا بريطانيون على ايدي فلسطينيين. فـقــد تـبـنـت بريطانيا داخل المجموعة الأوربية الدعوة لتشديد الاجراءات في حق القادمين من السودان وحملة جوازاته، بذريعة انه صار موئلاً لكثير من الارهابيين في المنطقة.
اذن كل الخلافات البريطانية مع الحكومة الحالية فـي السودان تعود جذورها إلى العهد التعددي الحزبي السابق، وحدث لها مزيد من التفريع والامتداد.
ومما فاقم تلك الخلافات أن المحكمة السودانية التي نظرت قضية المتهمين في حادثة فندق الاكربول، وجدت نفسها أمام واقعة فريدة، إذ رفض أولـيـاء الـضـحـايــا (الـذيــن تمت استشارتهم بحسب قواعد الشريعة الإسلامية) القصاص من المتهمين أو العفو عنهم أو قبول الدية، وتلك هي الخيارات الوحيدة المتاحة لعقوبة القتل في الشريعة، وطالبوا بأن يحاكم المتهمون وفقاً للقانون الانكليزي وهو ما لم يكن ممكناً أو مقبولاً. وعندها اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بوقف دعم الحكومة السودانية حتى في المجالات الثقافية.
اذن لـم يـكـن ينقص سوى زيارة كبير الأساقفة المثيرة إلى اجزاء من السودان يسيطر عليها المتمردون مــن دون مـوافـقـة الحكومة السودانية، ودعوته لاجراءات دولية ضد السودان لتكون الشرارة التي تشعل غـضـب حـكــومـة الخرطوم اضافة إلى أنها تقول انها رصدت تجاوزات عدة وانشطة غير مقبولة للسفير البريطاني الذي تم طرده.
والخلاصة من هذا الرأي الذي يبين بوضــوح العـقــدة الصـلـيـبـيـة في التعامل مع الشأن السوداني واحتقار استقلاله وحضارته وقضائه إذا كان مستمداً مـن جـــذوره الإســلامية وعروقه العربية.
لقد تتالت الأحداث في الأسبوعين التاليين إقليمياً ودولياً لترسّخ من تأكيد النظره الصليبية فـي تعاملها مع أحداث القرن الأفريقي، فأسياس أفورقي رئيس الكيان الأرتيري الجديد وصـاحـب العلاقة الوطيدة باليهود، والذي أحسن إليه السودان كثيراً حتى قبل وصوله للحكم أسفر عن وجهه الصليبي البشع حينما هاجم بعد أيام من زيارة الأسقف البريطاني جاره السوداني، واتهمه بأنه معبر للأصوليين الذين هاجموا قوات مليشياته الحكومية، وأجمع المراقبون على أن المذكور يريد أن يحسن من صورته في الغرب كحارس صليبي آخر يقف أمام المد الأصولي! حتى ولو كان جاره الذي أحسن إليه بالأمس، وهو

الذي يواجه حرباً أهـلـيــة داخل أرتيريا نتيجة لسياساته المتغطرسة وديكتاتوريته المتعجرفة وحربه الشعواء على الوجود الإسلامي شعباً وحضارة في أريتريا..
وكأن العقدة الـصـلـيـبـيـة تصــر على أن تقدم دليلاً آخراً عن أن الحكومة السودانية في محاولتها استقطاب النصارى »والتميع« في تعاملهم معها، كما حصل في زيارة (البابا)، إنما تزيد من خلال هذه الممارسات حقد هؤلاء لهباً في الصدور وحقداً مترجماً إلى مواقف كما حصل في استقالة نائب رئيس الـبـرلـمـان السوداني (الدو أجو دينغ) الذي طلب اللجوء السياسي لبريطانيا (هل تتصورون ملاذاً كثيراً أمناً من الأم الصليبية الحنون) واستقال من منصبه لأنه عجز عن التأثير في سياسة الحكومة تجاه الجنوب!!
وكأن وظيفة هؤلاء حتى في المواقع الرسمية النظر للسودان من خلال قضية سكانه النصارى فقط. إن تلك الحوادث تؤكد أهمية الـتـعـامـــل مع أعدائنا من خــــلال القواعد الشرعية والتأصيل العقدي الذي يستند إلى آيات الذكر الحكيم الذي أبان عن حـقــد هؤلاء وكرههم لهذا الدين مهما قدم المتنازلون من تنازلات ومـهـمـا أقيمت لرموزهم من مـهـرجــــانات أو زيارات!! فرصيد الحقد لا يطفئه منصب أو تنازل، لأنك متهم حتى آخر قطرة مــن دمك بأنك الآخر / المرعب.. وقد أحسن روبرت فيسك تلخيص هـــذه النظرية لك أيها المـسـلـم (المـفْرط أو الـمُـفرّط) بأنها محكومة بثلاث عناصر: ســوء نـيـة.. وسوء فهم.. واتهامـــات جاهزة!! ويبقى صوت الحق من قبلُ ومن بعد.. ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق..)).
لقد أشار إلى هذه العقدة الأستاذ سيد قطب رحمه الله حينما قال في تفسيره لهذه الآية: »إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان، انها هي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة«.
نعم في كل وقت وبكل جهد وبشتى الأساليب.. هذا ديدنهم أمـــــا ديدننا فهو أن نـصـبر ونصابر ونرابط ونكشف حجم العقدة الصليبية التي أقامت الدنيا وأقـعـدتها، وحـاصـــرت شعباً وجوعته لطرد سفير خرق الأعراف الدبلوماسية.. أما هتك الأعــــراض مــن صـبـــرا وشاتيلا إلى البوسنة إلى أحراش جنوب السودان بل إلى روابي الأرض الـمـباركة حـــــول الأقصى بوابل الرصاص اليهودي النصراني فإنها مسألة فيها نظر... حقاً طرد سفير: جريمة لا تغتفر، وسحق أمة وانتهاك كرامتها مسألة فيها نظر!.

المسـلمون والعالم

هذا هو الحل لقضية مسلمي مورو*

مـحـمـد شـفـيـق

إن مسلمي مورو الذين ذاقوا وعـاشـــوا ألوانــاً من الظلم والاضطهاد وعمليات الإفناء المنظم المدبرة ضدهم في ظل الحكومة الفـلـبـيـنـيــة الصليبية التي ضمت بلادهم إليها ظلماً وغدراً وطغياناً قد فقدوا الأمل في جميع الأساليب والحلول السلمية والسياسية لحل مشكلتهم منذ عام 1975م، أي منذ ثمانية عشر عاماً.

ازدياد الأوضاع سوءاً:

ازدادت أوضاع مسلمي مورو سوءاً بعد المحاولات لإيجاد حلول سياسية سليمة لمشكلتهم، وبعد اتفاقية طرابلس عام 1976 التي نصت عـلـى مـنـح الـمـسـلمين الحكم الذاتي في 13 محافظة وتسع مدن، لكن الحكومة الفلبينية الصليبية لم تلتزم بـهـــا، بل انتهزت فرصة الهدوء النسبي بعد وقف إطلاق النار المترتب على الاتفاقية لوضع خـطـة لمضاعفة قبضتها وسيطرتها على المسلمين ووزعت جنودها على الأماكن الاستراتيجية في المناطق الاسلامية؛ مما جعل تحركات المسلمين أمراً صعباً حيث أقيمت مئات من مراكز التفتيش على طرقهم كما انتهزت الحكومة الصليبية الفرصة لتهجير مزيد من النصارى إلى بـلاد الـمـسـلـمـين، وإقـامـــة مستوطـنـات لهؤلاء فيها. وباختصار كانت نتائج المبادرات والحلول السياسية السليمة ما يلي:

1- بدلاً من استرجاع المسلمين بعض أرضهم المغتصبة فقدوا المزيد منها.

2- بدلاً من استعادة المسلمين بعض حقوقهم السياسية والاجتماعية المسلوبة فقدوا المزيد من هذه الحقوق.

3- بدلاً من وقف إقامة المستوطنات الصليبية في بلاد المسلمين ازدادت هذه المستوطنات.

4- بدلاً من فك القمع والقبضة الحديدية على المسلمين ازداد القمع والقهر عليهم.

5- بدلاً من إرجاع المسلمين المشردين إلى أرضهم ازداد عدد المشردين.

6- بدلاً من وقف حرق بيوت المسلمين ومساجدهم ومدارسهم ازداد عدد المحروق منها.

7- بدلاً من إيجاد حلول لمشكلة الفقر والمشكلات الاجتماعية الأخرى ازداد الفقر وتضاعفت المشكلات الاجتماعية.

وما ذكر ليس حـصـراً لجـمـيــع النتائج السلبية للحلول السياسية السلمية لقضية مسلمي مورو، وإنما هو صور منها، وأســـوأ نـتـيـجــة لها إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين وإضعاف الروح الجهادية في قلوبهم؛ لأن النتيجة الحتمية للحلول السياسية السلمية هي هزيمة الروح وكلال الهمة وإضعاف الإرادة القـتالية وهي أسوأ أنواع الهزيمة، فالهزيمة العسكرية لا تكون هزيمة حقيقية ما لم تتبعها هزيمة الروح المعنوية.

وأقول لكم بكل صراحة وبكل إيمان وصدق إنه: لـولا فـضــل الله على المسلمين هنا في بلادنا، ثم الجهود المتواضعة التي بذلناها لمحو الهزيمة الروحية التي أدت إليها الحلول السياسية السلمية، وإعادة الروح الجهادية إلى نفوس المسلمين لحلت بهم الهزيمة المعنوية بسبب الحلول السياسية السلمية.

الحلول السياسية السلمية طرقت الأبواب:

إن المشكلة كل المشكلة أن الحلول السياسية السلمية التي تركت نتائج سلبية كثيرة لدى المسلمين جاءت مرة أخرى وطرقت الأبواب المغلقة، لقد دعونا الـمسلمين إلى النفير العام والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته والاستماتة لنصرة دين الله، واستـجـاب الـمسلمون لدعوتنا وأعدوا العدة وجهزوا أنفسهم ووقفوا صفاً واحدً كالبنيان المرصوص، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الهجوم على العدو الذي احتل البلاد هجمة رجل واحد، ولكنهم فوجئوا بإعلان المفاوضات السلمية بين مندوبي حكومة الفلبين وجبهة مسواري الوطنية في أندونيسيا حيث استؤنفت هذه المفاوضات مرة أخرى بعد أن فشلت عشرات المرات خلال جولاتها التي استمرت ثمانية عشر عاماً، وتركت آثاراً سيئة في مجتمع مورو الإسلامي.

لقد تفاوضت جبهة مسواري مع مندوبي حكومة الفلبين سراً في ليبيا العام الماضي (بواسطة العقـيـد معمـر القذافي) واستمرت الاتصالات بين جبهة مسواري وحكومة الفلبين إلـى أن أعلنوا نقل المفاوضات إلى اندونيسيا مـؤخراً ثم عقدت المفاوضات الرسمية بين الجانبين في جاكرتا باندونـيـسـيـا مـؤخراً، ولم تتوصل المحادثات إلى أي شيء لصالح قضية المسلمين المظلومين والمضطهدين.

وقد علمنا من مصادر موثـوقــة أن حكومة العدو راموس الصليبية تحاول أن تقنع جبهة مسواري بالاستسلام المشرف حـسـب تعبيرهم وهو أن يتخلى (مسواري) عن قضيته مقابل منصب حكومي، كما يسند إلى زملائه أيضاً بعض المناصب الحكومية الزائفة الزائلة مقابل تخليهم عن قضيتهم، هذا ما وصلت إليه المفاوضات الأخيرة في جاكرتا، ومازالوا يبحثون عن الحلول لمشكلة المناصب وكيف تعطيـهـم الحـكـومة الفلبينية المناصب في بلاد المسلمين التي وقعت تحت سيطرة الفلبين ومعظـم حكامها من الصليبيين والمنافقين.

هل القضية قضية مناصب حكومية أم قضية حزب أو جماعة قليلة من الناس؟ لا إنما هي قضية شعب مسلم أصيل بلغ تعداده 12 مليون نـسـمــة وضـمــت بلاده إلى دولة صليبية تحكمه بالحديد والنار وتكيد له بكل أنواع الكيد وتحاول القضاء عليه.

الجهاد هو الحل:

إن الحل الصحيح لمشكلة مسلمي مورو وجميع مشاكل المسلمين تحت احتلال الكفار هو الجهاد في سبيل الله، وأي محاولة لحل المشكلة مهما كانت جادة وصادقة في ظاهرها ما لم تتضمن دعم الجهاد أو تشجيع المجاهدين هي محاولة فارغة لا تساهم في العمل على تخليص المسلمين من السيطرة الصليبية الاستعمارية.

لذلك اتفقت جماهير مسلمي مورو وعلماؤهم ودعاتهم وأساتذتهم ومعلمو القرآن الكريم منهم وقراؤهم وعامتهم على أن يجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته ونـصــر دينه، فهم يدركون معنى قوله تعالى: ((إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئا))، وقوله جل شأنه: ((وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم))، وقد استجابوا لأمر الله حيث قال: ((انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)).

ونحن حين نجاهد أعداء الإسلام الذين استولوا عـلـى بلادنا نستنصركم في الدين بأموالكم أو نفوذكم ومساعيكم الحميدة لدى المحسنين مــن أغـنياء الأمة الإسلامـيــة، أو بأفكاركم وتدابيركم وخاصة في المجالات الإعلامية، أو بدعواتـكـــم إلى الله لنا ولجميع المجاهدين الصادقين في بقاع الأرض بالنصر والتمكين لإقامة حكم الله.

ونأمل أن تشجعوا ضعاف الإيمان والنفوس منا على الجهاد، وكذلك المهزومين نفسياً، وإن لم تستطـيـعـوا أن تشجعوهم على الجهاد فعلى الأقل لا تشجعوهم على الاستسلام بواسطة المفاوضات السلمية وقبول عروض العدو من المناصب والأموال مقابل التخلي عن القضية.

حي على الجهاد:

لقد استيقظت جـمـاهـيـر مسلمي مورو الآن، والذين عاهدوا الله على أن يجاهدوا في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة ديـنــه، وسـيـمـضون في جهادهم إن شاء الله في نصب وشقاء وحرمان وتضحية واحتمال كل مشقة ومجـاعـــة ولا يطلبون جزاءً في هذه الأرض، وإنهم ينتظرون الآخرة وحدها موعداً للجزاء إن شاء الله وإذا انـتـصــروا فذلك من فضل الله على المؤمنين وعلى الأمة الإسلامية كافة، وإذا استشهدوا فذلك أسمى أمانيهم، لذلك كان شعارهم: إما النصر أو الشهادة..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ومن البيان رقم (32) لجبهة تحرير مورو الإسلامية نقتطف ما يلي:

تقوم حكومة راموس الصليبية بمـؤامــرة خطيرة جداً ضد مسلمي مورو وتسـتـخـدم سياسة مزدوجة بغية الوصول إلى هدفها المنـشـود وهــو القضاء على المسلمين الذين تعتبرهم عدوها الأول قبل الشيوعيين وغيرهم.
ذلك أن هذه الحكومة الصليبية التي استخدمت ومازالت تستخدم جميع صنوف الكيد ضد المسلمين تتفاوض مع جبهة (مسواري) الوطنية في محافظة سولو مسقط رأس مسواري زعيم الجبهة الوطنية التي تفاوضها حكومة الفلبين علماً بأن هذه الجبهة ليس لها قاعدة شعبية وليس لها جناح عسكري منظم.
وفي الوقت ذاتــه تشن قواتها المسلحة حملات عسكرية ضد المسلمين الآمنين الـعــزل مــن الـســلاح، وضــد جـبـهـة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أمير المجاهدين الشيخ/ سلامات هاشم، وقد أعلن راموس رسـمــياً أن هذه الجبهة ليست داخلة في الاتفاق على وقف إطلاق النار الذي توصلت إليه المفاوضات بين الصليبيين ومن فاوضهم.

الهوامش:

(*) بتصرف

المسـلمون والعالم

المسـلمون في بلغـاريا بين الاسـتـئـصـال والـبـقــاء

د. عبد الله البراهيم

مـقـدمـة:

بلغاريا هي إحدى دول شبه جزيرة البلـقـان التي تشـكـل جزءاً من القارة الأوروبية يخترق البحر الأبيض المتوسط في ناحيته الشرقية كما تخترقه شـبــه الجزيـرة الإيطالـية في وسطه وشبه الجزيرة الأيبرية (أسبانيا والبرتغال) في غربه.
وقد دخل الإسلام إلى أوربا من عدة محاور، كان أقدمها من جنوبها الغربي عـبـر الأندلس في القرن الأول الهجري، ومن جنوبها عبر صقلية وإيطاليا في القرن الثالث، وتـغـلـغـل في شمالها الشرقي حول نهر الفولجا وبين جبال الأورال وبحر قزوين فيما كان يعرف بروسيا الأوروبية، ثم عبر المسلمون إلى شبه جزيرة البلقان منطلقين من تركيا إبان الفتح العثمـاني في القرن الثامن الهجري واتجهوا شمالاً حتى المجر والنمسا.(1)

نبذة تاريخية:

البلغار إحدى الأمم السلافية التي كانت تعيش في منطقة الأورال بالاتحاد السوفيتي سابقاً وفـي حوض نهر الفولجا، وقد عبرت إلى شبه جزيرة البلقان في القرن السابع الميلادي، ثم اتجـهـت جـنـوباً قاطعة نهر الدانوب لتستقر

فيما يعرف حالياً ببلغاريا، وتأسست المملكة البلغارية الأولى في الفترة (675-1018م) والمملكة الثانية من 1187 حتى 1393م حيث سقطت أمام جيش الفتح العثماني لتبقى قرابة خمسة قرون تحت الحكم الإسلامي. وكان العثمانيون قد عبروا آسيا الصغرى (تركيا حالياً) إلى أوربا عام 1345م وجعلوا من (أدرنة) عاصمتهم الأولى في أوربا عام 1360 م ثم اتجهوا شمالاً ليفتحوا مدينة تورنوفو (شمال بلغاريا) عام 1393م وكانت العاصمة آنذاك، ثم وصلوا عام 1396م إلى فايدن (شمال غرب بلغاريا) ثم اتجهوا غرباً لينتصروا على الصرب 1389م، ثم توسعوا في أوربا، فاتجهوا شمالاً قاطعين نهر الدانوب؛ ليفتحوا رومانيا وجنوب بولندا ومعظم المجر وأجزاء من النمسا في نهاية القرن السابع عشر الميلادي.

وفي 2 ابريل 1877م أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية مدعية أن لها الحق في حماية المسيحيين الأرثوذكس البلغار الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية (تشترك روسيا مع البلغار في الأصل السلافي وفي الديانة الأرثوذكسية).

ويدّعي الكُتّاب الغربيون(2) أن البلغار آنذاك قد تعرضوا لمذابح عام 1876م حيث قتل العثمانيون كما يزعمون الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وأحرقوا القرى والمدن، وبهذه الحجة عبر الجيش الروسي نهر الدانوب جنوباً، حيث هزم الجيش العثماني بمساعدة آلاف البلغار المتطوعين وامتد الزحف حتى مشارف إسطنبول، وتدخلت بريطانيا خوفاً من استقلال بلغاريا مما قد يؤدي إلى تقوية نفوذ روسيا في المنطقة، وتم توقيع معاهدة برلين عام 1878م التي انسحب بموجبها الجيش الروسي، وقسمت بلغاريا إلى خمسة أقسام أعيد بعضها للسلطان العثماني، وأعطي غربها لصربيا، وسلمت البوسنة والهرسك للمجر والنمسا (لإدارتها)، وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية عام 1908م أعلنت بلغاريا استقلالها في العام نفسه، ثم خاضت الحربين العالميتين حليفة لألمانيا، وفي عام 1946م آلت الأمور إلى الشيوعيين وكان آخر رئيس للجنة المركزية للحزب الشيوعي هو زيفكوف الذي حكم البلاد من 1979م حتى أسقط في 10 نوفمبر 1989م.

بلغاريا اليوم:

وتتكون بلغاريا حالياً من 28 مقاطعة، ويحدها من الشمال رومانيا ومن الغرب ما يعرف الآن بصربيا، ومن الجنوب الشرقي تركيا، ومن الجنوب اليونان ومن الشرق البحر الأسود، وأهم مدنها: بلوفديف، فارنا، روسي بورجاس، ستارا زاجورا، بليفن، وعاصمتها صوفيا في الغرب.

ومن المنتجات الزراعية في بلغاريا الحبوب والفواكه والخضروات، كما تصدر الأغنام والدواجن والأجبان وعطر الورد والزيوت النباتية وبعض المنتجات المعدنية، وتنتج الفحم والغاز الطبيعي.

يتبع البلغار الأمـم الـسـلافية (كالروس والصرب) ويتحدثون اللغة البلغارية (وتشبه اللغة الروسية والصربية والبولـنـديـــة) وهي لهجة من اللغة السلافية القديمة، كما يستخدمون الأبجدية الكريليكية، وهي الأبجدية نفسها المستخدمة في روسيا وفي جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً.
يبلغ عدد السكان (حسب احـصـائـيـة 1989م) قـرابــة تـسـعـة ملايين(3) يشكل البلغار الأرثوذكس 78% منهم والمسلمون 22% (قرابة 2مليون)، ويوجد بـعـض اليـهـود والأرمن واليونانيين.

مناطق المسلمين:

ينقسم المسلمون في بلغاريا من حيث الأصل العرقي إلى خمسة أقسام:
1- مسلمون من أصل تركي، ويبلغ عددهم مليون مسلم تقريباً، يتوزعون على مناطق عدة في شرق وشمال شرق بلغاريا (روسي تشومن بورجاس) وفي جبال رودوب جنوب بلغاريا، وقرب الحدود التركية ويتحدثون اللغة التركية والبلغارية معاً.
2- مسلمون من أصل بلغاري (البوماك) وقد أسلموا في القرن السابع عـشـــر الميلادي(3)، ويصل عددهم إلى سبعمائة ألف يعيشون في المناطق الجبلية كجبال رودب وقــــرب بليفن ولوفك.
3- مسلمون غجر ويشكلون ثلاثة أرباع الغجر في بلغاريا (والباقي مسيحيون) ويبلغ عددهم قرابة أربعمائة ألف، وإجمالي عدد الغجر (576.927) حسب احصائية 1989م، ويتحدث بعضهم اللغة التركية، وبعضهم اللغة البلغارية، ويتركزون في صوفيا بلوفديف سليفن فايدن لور بيتريك أرمشار دونا فتسي رازلوج فارنا وبازارجيك.
4- مسلمون من أصل مقدوني (ومقدونيا موزعة حالياً بين شمال اليونان ويوغسلافيا السابقة).
5- مسلمون من أصل تتري، وهم من التتر الذي فروا بدينهم إبان اضطهاد روسيا القيصرية لهم عام 1860م، وعددهم قرابة خمسة عشر ألفاً يتوزعون على قرى قليلة في شمال شرق بلغاريا على ساحل البحر الأسود مثل بالكيك وكافارنا.
وبالإضافة إلى ذلك توجد جالية عربية يصل عددها إلى خمسة آلاف شخص تقريباً ويتركز معظمهم في العاصمة صوفيا.

معاناة المسلمين في بلغاريا:

عـانـى المسلمون في بلغاريا من الإرث التاريخي للصراعات الدامية التي جرت في البلقان، وينـسـى الـنـصـارى تـمـامـاً المذابح فيما بينهم بينما لا ينسون أي حادث جرى عليهم من المسلمين، فتقوم قائمتهم وينادي مناديهم، ومن أهم الحوادث التي جرت على النصارى في المنطقة أحداث عام 1876م حـيـث يتهم الكُتّاب الغربيون الحكام المعينين من قبل الدولة العثمانية في

بلغاريا بارتكاب مذابح راح ضحيتها (عشرات الآلاف) من سكان السفوح الشمالية لجبال رودوب، وعذب الآلاف واعتدي على النساء وازدحمت المدن الكبيرة بآلاف المهاجرين الذين تعرضوا لمجاعة في ذلك الوقت(5)، وسواء أصحت هذه الأخبار أم لم تصح فإن الحقد على المسلمين ومعاناة المسلمين من التعصب الديني في دول البلقان أمر لا يختلف عليه اثنان.
وإبان الحكم الشيوعي مارست السلطات أقصى أنواع الحرمان للمسلمين من حق ممارسة شعائر دينهم، فأغلقت المساجد (وكان عددها 1200) وهدمت بعضها، ومنعت المسلمين من ممارسة أركان الإسلام كالصوم والزكاة، كما منعت ختان الأطفال(6) بحجة أنه (تدخل إجرامي ضد صحة الأطفال)(7) ومنعت دخول المصاحف والكتب الدينية لبلغاريا، وألغت المدارس الدينية ومنعت تدريس اللغة التركية، وهجّرت المسلمين إلى مناطق شبه معزولة ومنعتهم من الاحتفال بأعيادهم.
في عام 1947-1948م جرى تنصير ما يقارب (150.000) بلغاري مسلم، وبدأت حملة لتغيير أسماء المسلمين إلى أسماء سلافية عام 1948م ثم حملة أخرى في الستينات، وفي 1971م بعد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي بدأت حملة أخرى لتغيير أسماء البوماك، وحملة لتغيير أسماء المسلمين الغجر حيث غيرت أسماء ما يقرب من أربعمائة ألف مسلم غجري.. وفي أواخر 1984م وأوائل 1985م بدأت الحكومة حملة عنيفة لإرغام المسلمين الأتراك على تغيير أسمائهم، حيث أحيطت القرى ذات الأغلبية التركية بالقوات من الصباح الباكر، وأرغم المسلمون تحت تهديد السلاح بقبول الهويات الجديدة ذات الأسماء السلافية، وتم قتل ما يقرب من 300-1500مسلم لأنهم رفضوا ذلك وسجن وجرح الآلاف(8).
وقام المسلمون الأتراك في أواخر مايو 1989م بمظاهرات سلمية في شمال شرق وجنوب شرق بلغاريا مطالبين بإعادة أسمائهم الحقيقية، وشارك فيها آلاف من المسلمين، وردت السلطات الشيوعية بعنف إذ استخدمت الكلاب البوليسية والقنابل الدخانية والدبابات والحوامات، وراح ضحية تلك الأحداث عدد كبير من المسلمين وطرد الآلاف على إثرها من بلغاريا حتى الذين لم يتظاهروا خصوصاً من كانوا يحملون الدرجات العلمية كالأطباء والأساتذة والاقتصاديين والمهندسين. قال رجل شرطة يوماً لأحد المسلمين: »أنت لغتك مختلفة ودينك مختلف وكنت ترغب دوماً في الذهاب لتركيا فاذهب لها الآن!«.
وتم بذلك إرغام أكثر من ثلاثمائة ألف مسلم بلغاري من أصل تركي على ترك أراضيهم وبلادهم في فترة أقل من خمسة أشهر، ليشكل ذلك واحدة من أكبر الهجرات التي عرفتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.
أما الغجر المسلمون فيعانون من التمييز والاحتقار، ويسكنون في مجمعات سكنية مزدحمة جداً وفي أحياء خاصة بهم في ضواحي المدن في بيوت أكثرها

مبني من الألواح الخشبية، وتعيش غالباً أسرتان أو أكثر في الوقت نفسه، وتفتقر أحياء الغجر إلى الخدمات الأساسية كالماء والصرف الصحي أو دورات المياه.. ففي (فايدن) مثلاً يوجد (6000) غجري اضطروا لحفر الآبار لعدم توصيل الميـاه لهم، كـمـا لا يوجد الهاتف إلا في خمسة بيوت من أصل (1100) بيت، وقد صدر قرار عـام 1962م يقـضـي بـعـدم اختلاط أبناء الغجر والبوماك المسلمين مع أبناء الأتراك، وأن لا يـعـيـن أساتذة من أصل تـركـي في مدارسهم، وأكثر من نصف الغجر أعمارهم أقل من 16 سنة، ولـم يكـمـل الابتدائية إلا 30% من الغجر، وأكثر من نصف من هم فوق الثلاثين أميون(9) كما يحرمـون من الرتب في الجيش، وتعهد إليهم الأعمال الشاقة والمهنية عند خدمتهم (وكذلك الأتـراك)، وفي مديـنـة (بازارجـك) يسكن حوالي (27.000) مسلم غجري في إحدى ضواحيها، وقد زرت ذلك الحي ولم أجد مسجداً واحداً، والمسلمون هناك يعرفون أنهم مسلمون فقط، وقـلـيل منهم من يعرف أي شـيء عــن الإسـلام، رأيـت الأطـفــال فرحين يمرحون في ساحة مـبـنـى جديد ذكروا لنا أنه جامع، وأخبرني المترجم أنه مبنى لكنيسة ستقوم في هذا الحي الذي لا يوجد فيه مسيحي واحد، وحالياً تتصارع الإرساليات الـتـبـشـيـريــة على هذه (المادة الخام)، فأين المسلمون؟ وبماذا يقابلون ربهم ويجيبونه عن هذا التفريط؟!

واقع المسلمين في بلغاريا:

على الرغم من سقوط الشيوعية عام 1989م وانفـتــاح بلـغـاريا على العالم إلا أن الدستور الحالي الجديد يمنع تأسيس أحزاب على أساس عرقي أو ديني، ولذا لا يجد المسلمون من يمثلهم في البرلمان عدا (حركة الحقوق والحريات) وهي حــركـــة أعلنت نفسها علمانية وتدافع عن حقوق الأقليات (ومن ضمنهم الأتراك) وفازت في انتخابات البرلمان في يونيو 1990 م بـ (6.9%) مــن الأصـــوات، وفــاز الحزب الاشتراكي الـبـلـغــاري بـ 32.9% (الشيوعيون سابقاً) كما فاز اتحاد القوى الديمقراطية (المعارضة) بالأغلبية. وللمسلمين مفتٍ أكبر (في الثلاثـيـنـات مــن عـمــره) ولهم مفتون في المناطق عددهم تسعة، والجميع أعضاء في المجلس الروحي (مجلس الشورى للمسلمين) ويوجد معهد إسلامي في صوفيا، وتوجد حالياً ثلاث مدارس بها تعليم ديني: واحدة في روسي شمال شرق بلغاريا، وأخرى في تشومن شمال بلغاريا، وثالثة في كارجيلي فـي الجنوب الشرقي، وتشرف على هذه المدارس دار الإفتاء في بلغاريا، وهذه المدارس هي مباني أوقاف سابقة استطاع المسلمون استردادها، وهي غالباً للمسلمين من أصل تركي (ولكن لا يمـنـع الـمـسـلـمـون الآخرون من الالتحاق بها)، واهتم بها الأتراك للحفاظ على هويتهم القومية! والتعليم الديني لأبنائهم، ولا توجد مدارس ذات طابع ديني في مناطق البوماك أو الغجر، علماً أن الـبـومــاك أكثر حفاظاً والتزاماً بالدين من القوميات الأخرى.

وتشهد المساجد عودة طيبة ولله الحمد إلى الإسلام حيث تمتلئ بالمصلين في صلاة الجمعة، وبدأ المسلمون في أكثر المناطق المسلمة بفتح حلقات تحفيظ القرآن خصوصاً للأطفال.

احتياجات المسلمين في بلغاريا:

ما يحتاجه المسلمون حالياً في بلغاريا هو معرفة دينهم، ويساعد على تحقيق ذلك ما يلي:

* بناء المساجد والمساعدة على تعيين الأئمة والدعاة المختصين بالعلم الشرعي.
* إرسال بعثات من أبناء المسلمين البلغار إلى الدول الإسلامية للدراسة فيها.
* تأسيس المدارس الإسلامية لتبصير أبناء المسلمين بأمر دينهم.
* طباعة الكتب الإسلامية باللـغة البلغارية التي يفهمها المتحدثون باللغة الروسية أيضاً، وعسى أن تترجم بعض الكتيبات والرسـائـل الـصـغـيـرة فـي العقيدة والعبادات والآداب والأخلاق.

ويعاني بعض المسلمين (وخصوصاً الغجر) من الفقر ويحتاجــون للكساء والفحم في الشتاء، مما يلزم عناية الجهات الخيرية بمدهم بهذه المعونات لسد احتياجاتهم الماسة، حتى لا تكون هيئات التنصير أقرب لهم من إخوانهم مما يحملهم على ترك الإسلام مادام المسلمون لا يحملون همهم.

الجهود الحالية:

توجد في بلغاريا حالياً عدة جمعيات خيرية هي:

- هيئة الإغاثة الإسلامية.
- جمعية الوقف الإسلامي.
- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

وقد قدمت الهيئة الأولى أعمالاً بسيطة، وقامت هيئة الإغـاثة الإسلامية العالمية ببناء بعض المساجد وكفالة عدد من الأيتام، وأقامت دورة للدعاة والأئـمـــة، كما قامت مؤخراً بتقديم مساعدات مادية مقطوعة اقتصرت على الطالبات في مدرسة روسي.

وتكفل جمعية الوقف الإسلامي بعض الدعاة والأئمة في بلغاريا، وقـدمــت مـســاعدات إلى الـمـدارس الإسـلامـيـــة السابق ذكرها، كما اشترت مؤخراً مبنى من 4 طوابق في قريــــة (سارنيتسا) في مناطق البوماك المسلمين ليكون مدرسة وسكناً للطلاب يتم فيها تدريسهم أمور دينهم، كما يقوم بعض المحسنين ببناء المساجد وتقديم المعونات الإغاثية للمسلمين هناك.

وقد تم قبول 15 طالباً بـلـغارياً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتسعة طلاب في كلية الشريعة بعمان الأردن.

هذا واقع المسلمين في بلغاريا وتلك احتياجاتهم، أدركوهم بالعون والمساعدة قبل أن تقضي عليهم الجهود الكبرى للتنصير.

(ألا هل بلغت... اللهم فاشهد).

الهـوامـش:

(1) الأقليات المسلمة في أوروبا، سيد عبدالمجيد بكر، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي، شوال 1405 هـ.
(2) The Bulgaians , by Christ Anastasoff, Exposition Press, New York, 1977, P. 99.
(3) Cambridge Encyclopedia, 1992 .
(4) حاضر العالم الإسلامي، لوزوب ستودارد، تعليق: شكيب أرسلان، جـ3، ص 321، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1352 هـ.
(5) ماكجان، صحيفة نيويورك وورلد، يوليو 1876 م.
(6)مجلة المجتمع، العدد 1073، ص 38.
(7) Bulgaria, by R. McIntyre, Pinter Publishers, London, 1988, p. 72.
(8) The Expulsion of the Bulgarian Turks, 1989.
(9) The Gypsies of Bulgaria, 1991.

المسلمون والعالم

العالم الإسـلامي في مـرآة الصحافة

الـتـحـريـر

أخـي القارئ:

في هذه الزاوية سنحاول جاهدين اخـتـيـار مقتطفات من بعض التقارير والأنباء واللقطات في بعض الصحف السيارة، مما له مساس بواقع أمتنا الإسلامية، مع العلم أن ما يطرح في هذه الزاوية لا يعني بالضرورة الموافقة على ما جاء فيها بل يقصد منه بيان الرأي الآخر.

- الـبـيـان -

أضواء على جرينوفسكي:

هذا الزعيم الروسي الذي ظهر فجأة، وأقـنـع الـنـاخـبـين الروس الذين يعيشون إحباطات وأوضاع لا يحسدون عليها بطروحاته الدعائية، أثار رعـــــب الغــرب والشرق، وهذه نبذة للتعريف به وبيان لتوجهاته.

ولد جرينوفسكي من أب يهودي عانى في طفولته من البؤس والتشرد وهـاجــــر أقاربـه إلى إسرائيل وكان قد عزم على السفر هـناك عام 1983 م وكان يعمل ضابطاً احتياطـيـــاً برتبة نقيب في الـ »كي جي بي« وبعد ظـهور نظام تعدد الأحزاب في الاتحاد السوفيتي سابـقــاً تم تأسيس حزبه (الليبرالي الديمقراطي) بناء على تعليمات الحزب الشيوعي السابق إلى الـ كي جي بي،

حيث قال جورباتشوف آنذاك: »يجب أن نبادر بإنشاء حزب بديل شريـطــة أن نسيطر عليه«، فتم إنشاء ذلك الحزب.
ومن الملفت للنظر أنه يدعي أن 90% من أعضاء ذلك الحزب من اليهود، وفي الانتخابات الروسية الأخيرة تقدم هذا الحزب على غيره من الأحزاب، لما كان يرفعه مــن شـعـــارات أحيت في الشعب الروسي أحلامه السابقة بعودة الامبراطــوريـــة الــروسـيـــة، وقـد كان جرينوفسكي ينادي خلال حملته الانتخابية بالأمور التالية:
* مكافحة الجريمة دون رحمة.
* العودة إلى روسيا العظمى التي تشمل أراضي في البلطيق وأوكرانيا وآسيا الوسطى.
* الدعوة إلى احتلال كل من تركيا وإيران والوصول إلى المياه الدافئة في الخليج!
* المناداة بأن يكون الروس وحدهم يمثلون 99% من الحكومة الجديدة. وفي ذلك إشارة إلى عدم قبول أي من الأجناس الأخرى في الحكومة ما عدا اليهود.
* إضافة إلى ذلك فقد كان يدعو إلى قيام وحدة اقتصادية وثـقــافـيــة بين الدول السلافية وروسيا.
تميزت شخصية ذلك الزعيم بملامح واضحة أثرت في تعامله مع الآخرين، فمثلاً:
* في خلافه مع أعضاء البرلمان قال أن 10% من أعضاء البرلمان مجانين.
* وحين رفضت السلطات الألمانية استـقباله قال أنه يتوجب على ألمانيا دفع ثمـن باهـظ وستصبح بلداً فقيراً بـعد احتلالها.
* وقال أيضاً أن رومانيا دولة مصطنعة وإنما تتألف من غجر إيطاليين.
* تناقضاته الكثيرة: فمرة ينفي أنه من أصل يهودي، وأخرى يصرح بأن أباه كان يهودياً ويعلن معاداته للسامية، ولكن في حين آخر ينفي ذلك أو يحصر معاداته في غير اليهود.
ومن المضحك أن يستبشر بعض أفراد اليسار العربي بظهور نجم ذلك المخلص المزعوم الذي يستطيع أن يقول للغرب »لا« بكل قوة.

الـبـوسـنـة:

* أكد رئيس وزراء البوسنة حارث سيلايجيتش أن اللورد أوين يتهم الـحـكـومـة البوسنية بالإبقاء على الخيار العسكري في وقت يتم فيه تدمير مواقع مدنية، وأضاف: يبدو أن أوين وغيره لا يستطيعون قبول البوسنة إلا كضحية من دون موارد.
(الحياة 27/7/1414 هـ)

بدون تعليق:

حذر مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق ريتشارد بيرلي من أن يسود شعور بالاضـطـهـاد لدى المسلمين في البوسنة، وقال: »إذا أردنا أن نشن حرباً على الأصولية والإرهاب، فــإن مصداقيتنا تحتم علينا أن نُظهر أننا مهتمون بقضية المسلمين الذين أظهروا استعداداً للعيش بسلام مع غير المسلمين«.

(الحياة 5/8/1414 هـ)

على الحبلين:

قدم السفير الأمريكي في اليمن صوراً من الأقمار الصناعية توضح تحركات قـــوات الـيـمـن الشمالية والجنوبية على الحدود السابقة، وذلك إلى كل من الرئيس ونائبه.

(الأسوشيتدبرس 16/1/1994م)

تزكية من أبي عمار:

قال ياسر عرفات في مقابلة مع شبكة أنه يعتقد أن رئيس الوزراء إسحق رابين رجل يحترم وعوده.

(الحياة 3/7/1414 هـ)

أول الغيث:

ذكرت عائلات فلسطينية أن أعضاء من حركة فتح اشتركوا مع حرس إسرائيلي في مهاجمة سجناء فلسطينيين لاخماد شغب في سجن كيتزيعوت.

(الحياة 17/7/1414 هـ)

موقف مشرف في ظل الانهزام العربي:

... من الصعب جداً التقليل من الخطورة التي انطوت عليها »زيارة« أسقف كانتربري في هذا الأسـبـــوع إلى بعض المناطق التي لاتزال تحت سطوة المتمردين في جنوب السودان، وهي »الزيارة« الـتـي لا يمـكـن أن تسمى »زيارة« إلا مجازاً فحسب، وإلا فإنها كانت أشبه بعمل من أعمال التسلل، ودخـــــــول البيوت من غير أبوابها، والدخول إلى أراضي الآخرين هكذا عنوة، من غير أدنى مراعاة لمشاعر الدولة التي تقع هذه الأراضي تحت سيادتها، قانونياً ودولياً ومن غير احترام حتى للشكليات الإجرائية البحتة.
التدخلات الانجليزية في شــــؤون السودان، في كل الفترة التي أعقبت الاستقلال السياسي الرسمي في سنة 1956م، تكاد تكون موضوع رواية كاملة مطولة، كثيرة الفصول، ولا يبدو أنها على وشك الانقضاء، كما لا تبدو الآن حكاية أسقـف كانتربري، التي تداخلت فجأة من الأسبوع الماضي وتشابكت مـــع حكايات تدخلات السفير البريطاني لدى الخرطوم في الشأن السوداني الداخلي، سوى مجرد آخر هذه الفصول المتلاحقة من 1956م.
الفارق الوحيد الآن بين هذا الفصل الأخير وفصول السنوات السابقة الطويلة، هو أن هذه هي المرة الأولى غير المسبوقة على الإطلاق من سنة 1956م، التي يسمع فيها سفير الدولة العظمي، المسيطرة على السودان سابقاً أن

للسودان المستقل كبرياءه الوطنية أيضاً، وأن في مقدوره دائماً أن يطلب من أي ضيف أو غريب وافد مغادرة السودان، بسلامة الله وحفظه، إذا كان من العسير عليه مثلاً، لأي سـبـب نـفـسـي أو عـقـلـي، أن يحتـرم كبرياء الوطن السوداني ويتقيد على الأقل بالأعراف الدبلوماسية المعهودة والمرعية.
غي أن الانهزام العربي العام، الساحق جداً في هذه الساعة، هو وحده فقط الذي يجعل من أمثال هذه المواقف السودانية غير مفهومة وغير مألوفة بل غير معقولة وغير مقبولة في رأي عقلاء العرب في هذه الأيام، الذين أفرطوا في العقل جداً، وقد أوشكت الآن أن تـقـتـلـهــم التخمة العقلانية المفرطة.
(حافظ الشيخ، جريدة الوطن 22/7/1414 هـ)

منظمة العفو الدولية وتونس:

ذكــــرت مـنـظـمــة الـعـفـو الدولية في تقرير لها صدر في 1/8/1414 هـ »أن هناك هوة بين التصريحات الرسمية وحقيقة الإنتهاكات الخطيرة والمتكررة لهذه الحقوق«، وقالت المنظـمة أن المؤسسات التي أنشئت أخـيــراً لحقــــوق الإنسان تنقصها الاستقلالية وتتميز بالعجز وبطابعها السري.
وذكر التقرير أن المنظمة تجري حواراً بلا طـائــل مـع السلطات التي تستمر في نفي وجود انتهاكات لحقوق الإنسان وفي تبريرها.
(الشرق الأوسط 2/8/1414 هـ)

فضيحة: تزوير الأدلة ضد الإسلاميين:

تحولت قضية الوثائق التي ادعت أجهزة الأمن الفرنسية، العـثــور عليها في منزل رئيس منظمة »الأخوة الجزائرية« موسى كرواشي، إلى فضيحة عندمــــا نشرت صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية أن الوثائق التي عثر عليهـا يحتمل أن يكون مـصــــدرها عناصر الشرطة أنفسهم، وعندما قرر وزير الداخلية الـفـرنسـي شارك باسكوا فـتـــح تحقيق بدأت الأجهزة الأمنية تتبادل التهم، فالاستخبارات اتهمت الشرطة القضائية أن أحد عناصرها وضع الوثائق عن طريق الخطأ ضمن وثـائــــق أخرى وجدت في المنزل، أما الشرطة فــــردت بالـنـفــي وأن الاستخبارات يحـــــاولون تلبيسهم خطأ ارتكبه أحد العاملين في جهازهم. والسؤال الذي يطـــرح نـفـسـه هو أنه إذا كانت أجهزة الأمن في دولة تدعي الديمقراطية ورعاية حقوق الإنسان تقوم بتزوير أدلة واختلاق اتهامات، فماذا عساه يجري في دول العالم الثالث؟!
(وكالات الأنباء 5/8/1414 هـ)

دراسات اقتصادية

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة

معالجة الأزمات الغذائية

د. محمد بن عبد الله الشباني

مـقـدمـة:

ترتبط المشكلات والأحداث السياسية بالقضايا الاقتصادية، فالأوضاع الاقتصادية لها تأثير في مسار الأحداث والتغيرات التي تصيب الدول والشعوب والحضارات؛ لهذا فإن الأوضاع الاقتصادية وكيفية معالجتها تـؤدي إلـى الـتـأثـيـر سـلـبـاً أو إيــجــاباً على صمود الدول والمجتمعات تجاه رياح التغيير، فكلما تمت معالجة الأوضاع الاقتصاديـــة وفــق سنن الله ووفق قواعد العدل، فإن رياح التغيير لا تتمكن من التأثير في أوضاع الدول والمجـتـمـعات، ولكـــن إذا سارت المجتمعات في تنظيماتها حسب الأهواء والرغبات، وخـالفت سـنن الله الكونية فإن مآلها إلى الزوال.

إن الإســـلام دين يجمع بين دفتيه خيري الدنيا والآخرة، ويعالج مشكلات الحياة الدنيا بنفس القـــدر الذي يعالج فيه أمور العقيدة، وما يتصل بها من مسائل ذات ارتباط بوجود الإنسان وغايته على هذا الكوكب.

يُتهم الإسلام من قبل أعدائه وجزء كبير من المنتسبين إليه ممن يدعي الثقافة والعلم بأنه لا يمتلك تصوراً كاملاً لتنظيم شؤون الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأن المعطيات المعاصرة لا تتلاءم مع الـتـنـظـيـمات الجزئية التي أمر بها الإسلام. لهذا فإنه ينبغي على المجتمعات الإسلامية إذا أرادت الـخـــروج من واقعها أن تتبنى المناهج الغربية في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، ولهذا تتجه الـــدول الإســـلامـيـــة قِبَل البنك الدولي ليضع لها السياسات الاقتصادية، والاجتماعية التي يجب على هذه الـــدول اتـبـاعـها إذا أرادت الخروج من واقعها الاقتصادي السيىء.

إن هذه المقولة وتبنيها من أصحاب القرارات في العالم الإسـلامي والإيمان بها من قِبَل قادة الفكر الاقتصادي والسياسي، إنما ينبع من جهل كامل بالإسلام وتـعـالـيـمـــه وقلة الفقه بالتشريع الإسلامي، ومحاربة كل توجه للأخذ بالإسلام، والتسليم الكامل بـالـمـقـولات الغــربية الناتج عن الانهزام النفسي والمادي الذي أصاب العالم الإسلامي تجاه القـــوى الغربية المتسلطة.

إن مـــن أهم مجالات الدعوة للعودة للإسلام في هذا العصر هو إبراز التصور الإسلامي لما يمكن أن يقدمه الإسلام من حلول في المجال الاقتصادي ولهذا فإن الغاية التي أرمي إليها من نشر هذه السلسلة من المقالات في مجلة البيان هو المشاركة في إبراز ما يحتويه الإسلام من ثروة عـلـمـيـــــة في تنظـيم الحياة الاقتصادية المعاصرة، وما يشتمل عليه من مبادئ اقتصادية علمية ينبغي للمجتمعات الإسلامية الأخذ بها، وتطبيقها في الواقع المعاش.

إن المنهج الذي سوف أتبعه في استعراض القضايا الاقتصادية المعاصرة هو أخذ أي مشكلة اقتصادية أو وضع تنظيمي اقتصادي معاصر وإبراز وجهة النظر الإسلامية من خلال دراسة الأدلة الشرعية من القرآن والسنة بإيضاح المنهج الذي يرشد إليه الإسلام في معالجته لهذا الوضع، ومدى قـــابـلـيــة هذا المنهج للاسترشاد به في حل الأوضاع الاقتصادية المعاصرة، وإبراز مدى التفرد والتميز والواقعية للمنهج الإسلامي في معالجة الأمور الاقتصادية.

النقص المؤقت للسلع:

من المشكلات الاقتصادية الـتـي تـواجــه المجتمعات المعاصرة مشكلة النقص المؤقت للسلع التي يحتاج إليها الأفراد: هذا النقص قد يكون ناتجاً عن سوء السلوك الإداري للمديرين الذين يتولون إدارة الاقتصاد في المـجـتـمـــع، أو قد يكون ناتجاً عن عناصر التدخل في ميكانيكية السوق بالاحتكار وحجب السلع عن السوق، أو قد يكون ناتجاً عن نقص فعلي في السلع.

إن معالجة النقص في السلع مرتبط بمعالجة الـسـبـب الـمـحـــدث للنقص والإسلام يعالج الأسباب الجزئية، لكن علاجه لا يمكن أن يؤدي دوره الكامل والفاعل إذا لم يكن الإطار العام للتنظيم الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي للمجتمع يخضع لقواعد وقيم الإسلام الحاكمة للفكر والتوجيه العقائدي والسلوكي، ولهذا ينبغي إدراك هـــذه الحقيقة، وان العلاج لجزئية من الجزئيات لا تنفصل عن الإطار الكلي للعلاقات التأثـيـريـــة لمختلف الأنظمة الاجتماعية.

لقد وردت أحاديث نبوية عديدة تعالج معظم الأسباب التي تؤدي إلى وجود وظهور النقص فـي السلع، وفي هذه الحلقة سوف أقتصر على كيفية معالجة الإسلام للنقص الفعلي، أما الأسباب الأخرى لمعاجة مشكلة الأزمات الغذائية فسوف أستعرضها في مقالة لاحقة إن شاء الله.

روى مسلم ومالك والبيهقي، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن واقد أنه قال: نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة، قال عبد الله بن أبي بكر فذكرت ذلك لعمرة بنت عبدالرحمن، فقالت: صدق سمعت عائشة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- تقول: دف(1) أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رســول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ادخروا ثلاثاً ثـــم تصدقوا بما بقي، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله: إن الناس يتخذون الأسقبة من ضحاياهم ويحملون فيها الودك(2)، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما ذاك؟ قالــوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال: »إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت عليكم فكلوا وادخروا وتصدقوا« وفي رواية من طريق آخر لدى ابن ماجة عن عبدالرحمن بن عايش عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: إنما نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن لحوم الأضاحي لجهد الناس، ثم رخص فيها وفي رواية للبخاري عن يزيد بن أبي

عـبـيـد عــن سلمة بن الأكوع قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »من ضحى منكم فلا يبقينّ بعد ثالثة وفي بيته منه شيء« فلما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قـــال: كـلــوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهدٌ فأردت أن تعينوا فيها.
وقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طـعــام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم«.
بدراسة الأحاديث السابقة نجد أن الرســول عليه الصلاة والسلام عالج النقص السلعي في المدينة بأسلوب توجيهي للأمة ليقتدي بــه قادة الأمة الإسلامية حيث وضع عليه الصلاة والسلام منهجاً تطبيقياً ينبغي على الدولة الـمـسـلـمة اتباعه عند حدوث النقص في السلع التي يحـتاج إليها الناس خـلال فترة النقص ويتـمـثــل هذا المنهج في التدخل وبالمعالجة الوقتية وفق هذا التوجيه النبوي القائم على مواجهة الظــروف، فمعالجة الرسول -صلى الله عليه وسلم- للمجاعة عندما وفدت أعداد من الأعراب إلى المدينة في عيد الأضحى أنه -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الاحتفاظ بلحوم الضحايا لأكثر من ثلاثة أيام، وعندما انتهت الأزمة سمح بالادخار. هذا التوجيه النبوي يمكن انتهاجه واعتباره استراتيجية يتم اتباعها عند مواجهة الأزمات التموينية، فعند نقص السلع يمكن تدخل الدولة بتقنين كمية الاستهلاك الفردي، ومنع الادخار. يؤكد هذا الأمر حديث أبي موسى عن الأشعريين حيث ورد في الحديث تحبيذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمنهجهم في حالتين: الأولى في حالة السفر، وعند نقص الإمدادات، والثانـيــة في المدينة عند نقص الكميات المتوافرة، والتوجيه النبوي تعليم للأمة وإرشاد إلى المنهج الـــذي ينبغي اتباعه في حالة نقص المواد السلعية الاستهلاكية سواء أكان بسبب نقص الإنتاج أو التأخر في الحصول عليه من خلال الجلب، أي التأخر في الاستيراد لأي سبب، فعـنـدئـذ يمـكـن تحديد كمية الاستهلاك من هذه السلع الناقصة بحيث لا يزيد الشراء عن حاجة ثلاثة أيــــــام، كما أنه يمكن حصر الكميات المتوفرة في الأسواق وبيعها على الناس وفق حاجة الفرد الاستهــلاكية لمدة ثلاثة أيام، وعلى الجهاز الحكومي استخدام الأساليب التنفيذية اللازمة باســتـخــدام جمـيـع المعطيات العلمية المتوفرة لتنفيذ هذا التوجيه النبوي. إن هذا الإجراء ليس إجراءاً مستمراً، وليس قاعدة عامة تتبع في كل حين، بل إن هذه المعالجة جاءت لمجابهة واقع النقص فقد أوضح حديث الأشعريين أن هذا الإجراء مرتبط بالأزمات، حيث أشار الحديث إلى اتـبـاع سياسة التوزيع التمويني عند النقص الفعلي للسلع، ولكن لا يكون ذلك أسلوباً دائـمـــــاً وسياسة تموينية ثابتة، ونمطاً في ممارسة إدارة الاقتصاد التمويني، لكن هذا الأسلوب يتبع فـقـط عـنــد حدوث الأزمات، وعندما تنفرج فإن القاعدة العامة ترك الناس

يتصرفون وفق رغباتهم وقـدراتـهــم المالية، ووفق واقع السوق الذي يوجه عملية التبادل التجاري وفق قانون العرض والطلب.
إن أسباب النقص الـفـعـلـي للسلع تتمثل في أمرين حسب ما أشار إليه حديث أبي موسى وهما:
الأول: عند نقص الإنتاج من السلــع لظروف طبيعية خارجة عن إرادة الإنسان فنتج عن ذلك نقص في الكمية المعروضـــــــة للبيع عن الحاجة الاستهلاكية.
والثاني: قلة الجلب (الاستيراد) وهو تأخر أو امتناع المسـتـورديـن عن الاستيراد أو ضعف الدولة عن استيراد كامل ما تحتاجه من السلع من خارج إقليمها أو نتيجة لحصار اقتصادي مفروض عليها من أعدائها.
المعالجة الإسلامية للأزمات الغذائية لا تخرج في إطارها العام عن المعالجة المعاصرة، إلا أن الإسلام يتميز بعنصر لا يوجد في أي نظام من الأنظمة الاقتصادية المعاصرة، هذا التميز يتمثل في أن امتثال القرارات الإدارية التي تصدر عن ولاة الأمر تلقى القبول الـنـفـســي والتنفيذي الطوعي لارتباطها بالإيمان العقائدي للأفراد، فالمسلم يقبل ما تفرضه الدولة من إجـــراءات باعـتـبـاره تحقيقاً لمصلحة عامة، ولكنه قبل ذلك باعتباره مطلباً شرعياً يرتبط بمفهوم تحقيق الـعـبادة لله. إن نجاح هذا المنهج لا يتوقف على التنفيذ التطبيقي الجزئي لهذا الإجراء فلا يمكن نجاح هذا الإجراء في مجتمع غالبية شعبه مسلم إذا لم تكن أنظمة هذا المجتمع في جـمـيــع مناحي الحياة تلتزم بالتشريع الإسلامي، لهذا نجد أن عمليات تقنين الاستهلاك في المجتمعات الإسلامية غير ناجحة بسبب أن التنظيمـات الاجتماعية الأخـرى مخالفـة، وبالتـالـي لا تجـــد القرارات التنظيميـة التي يقرها الإسلام ويأمر بها القبول من قبل الجماهير الإسلامية فـي الدول الإسلامية بسبب التناقض في توجهات هذه الدول ومناهجها التنظيمية الأخرى التي تتصادم مع أساسيات الدين وقواعده.
إن التنظيم الإسلامي في جزئية من الجزئيات لا يمكن نجاحه إذا فصل عن التنظيم الكلي، لهذا لا يمكن نجاح أي تنظيم اقتصادي كجزئية إذا كانت بقية الأجزاء تـتـصـــــادم معه، وأكبر دليل على ذلك ما يتم انتهاجه بتقديم حلول فقهية لمشاكل اقتصادية أوجدها نظام اقتصادي لا يرتبط بالإسلام بل يعارضه ويعاديه. ومثال على ذلك نجد عدم قدرة البنوك الإسلامية في تحقيق التغيير في التنظيم البنكي ولجوءها في كثير من الأحيان إلى البحث عن الحيل الشرعية لكي توائم واقعها التنظيمي مع الواقع التنظمي الاقتصادي للنظام الربوي السائد في تلك المجتمعات، التي أجازت قيام مثل هذه البنوك أي البـنــوك الإسلامية مع إلزامها بالخضوع لفلسفة ومنهج النظام الربوي. هذا الوضع البيئي للبنـوك الإسلامية أدى إلى عجزها عن التفرد والتميز بل أصبحت في معظـم الأحـيـــان أدلـــــة يعتبرها المعارضون لأسلمة الاقتصـاد، فيتخذون واقع هذه البنوك حـجـــة لعجز الإسـلام عن إيجـاد البديل العملي،

مما دفع ببعض من ينتسب إلى العلم الشرعي بإجازة صور عديدة من الربا وتغيير مسمى الفائدة أو الربا إلى الربح أو العمولة..

الهوامش :

(1)دف: الدف هو السير البطيئ مع تقارب الخطو.

(2)الودك: أي الشحم ويجملون أي يذيبون. الدافة: قوم مساكين قدموا المدينة أقدمتهم المجاعة. أرملوا أي فنيت أزوادهم. إناء: وعاء.

في دائرة الضوء

مستقبل الدعوة السلفية.. رؤيـة نـقـديـة

جـمال سـلطان

تـمـهـيـد:

تطرح مجلة البيان هذه الرؤية الـنـقـديـــة للكاتب الكريم والذي له العديد من الدراسات الفكرية والدعوية الجادة من قبيل النقد الــذاتـــي الذي يراد منه التعاون لدراسة واقعنا الدعوي بعلمية وموضوعية، رغبة في تلافي ما قد يـوجــه إليه من ملاحظات أو سلبيات، وأملاً في الوصول به إلى الأفضل إن شاء الله والمجال مفتوح لأي مناقشة موضوعية تلتزم بآداب الحوار.
والله من وراء القصد.

- الـبـيـان -

الدعوة السلفية هي عماد الصحوة الإسلامية المعاصرة، وهــي مـــادتها، وقاعدتها القوية، التي تصل ما انقطع بين الخلف وسلفهم الطيب الصالح، وتدعو الــنــاس إلى منهج الجيل الراشد، وهدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، لأن ذلك النهــج وذلك الهدي، هما في الحقيقة منهاج الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، كما قال : »تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: وما هى يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابى«.(1)

وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الدعوة المباركة، تتحمل تبعات جسام فـي مسيرة الإحياء الإسلامي الجديد، تستدعي من أبنائها وأهلها أن يكونوا على قدر هـــذه التبعات، علماً وحكمة، وسعة وإدراكاً، وجهداً وجهاداً، وأثبت عند النوازل والفتن، عـلــــى مختلف أنواعها وصنوفها.

بيد أن الأمر الذى لا يسعنا تجاهله، أو تجاوزه، هو أن هذه الدعوة وأهلها مـــن العلـمـاء والـدعـــــاة والـمفكرين والعاملين، يبقون بشراً من البشر، وتبقى جهودهم في هذا السبيل، جهوداً بشرية، يعتريها ما يعتري الجهد البشري من عوارض مختلفة، منها الزلل، ومنها الخطأ، ومنها الغلو أو الإفراط أو التفريط، ومنها الذهول عن بعض الحقائق المنهجية أو العلمية أو الواقـعـيــة، ومـنـهــا

ضعف بعض النفوس، أو ضعف بعض الهمم، وهذه كلها سلبيات تقع لكل جهد بشري، فطرة الله، ولا عصمة لأحد من الناس بعد النبي الخاتم -صلى الله عليه وسلم-، وهذه الحقيقة من شأن استحضارها أن ينفي الحساسية الزائدة من أى ممارسة نقدية أو تقويمية ذاتية تتوجه إلى الجهود الدعوية المرتبطة بالمنهج السلفي، وإذا كنا نتوجه بالنظر والتقويم والنقد والتصحيح لمجهودات إسلامية مختلفة، من فصائل وأحزاب وجماعات، على قربها أو بعدها من المنهج الرشيد، فلماذا نستنكف نحن أن نقوم أنفسنا، ونعيد النظر في مسار الدعوة السلفية كل حين، للكشف عن المعوقات، أو الآفات، والسلبيات، التي تعترض مـسـار هذه الدعوة، أو التي تشينها، أو التي تتسبب في فتنة الآخرين تجاهها، إن انتساب أى شـخـص أو حركة أو تيار إلى المنهج السلفي لا يعني منحه صك عصمة مفتوحاً، بحيث يكون كل قول له أو فعل أو سلوك أو تقدير حقاً لا مراء فيه، ورشاداً لا زيغ معه، واستقامة لا اعوجاج بها، فهذا كله غلو ينبغي أن تتنزه عنه الدعوة السلفية، ولابد أن نملك الجرأة والثقة التي تجعلنا نعيد تقويم جهودنا الدعوية، بعدل وإنصاف، وتواضع وجد، حتى لا تتـراكـم الأخـطـاء، أو تتكاثف السلبيات، أو تتضخم الهفوات، بما يهدد وجود الدعوة ونكون عياذاً بالله فـتـنـة للناس، في تقديرهم وحكمهم على منهج الفرقة الناجية ذاتها، والدعوة السلفية بوجه عام.

ثلاث ملحوظات مهمة:

وفق هذا الاطار، وتلكم الرؤية، تجيء هذه الملحوظات الثلاث التي أقدمها للقارئ المسلم، باعتبارها محاور أساسية، ألاحظ وجـود الاضطراب بسببها عند بعض الجهود الدعوية، وأرى أن ضبطها ووعيها، وترشيد الـمسار الدعوي فيها، هو مطلب بالغ الأهمية، وشديد الخطورة، ومن شأن الإحاطة به وانـجـازه أن يختصر الكثير من مـسـافـات الطريق نحو التمكين لدين الله ودعوة الحق في مستقبل البشرية إن شاء الله تعالى.

الملحوظة الأولى: وتتعلق بفهم طبيعة الدعوة، ومداها، ورسالتها العامة، إذ هناك نفر من الدعاة يظنون الدعوة إلى التوحيد، مجرد عمل »تثقيفي« أو »تعليمي« تصحح به »تصورات« الناس تجاه مفهوم »الربوبية« و »الألوهية« ومنهج أهل السنة في »الأسماء والـصـفـات« المتعلقة بالباري سبحانه وتعالى فحسب، دونما بيان شاف كاف عن »تجليات« هذه العقيدة في واقع الناس وسلوكهم ونظمهم الاجتماعية والقيمية والتشريعية ومشاعرهم وولائهم وجـهـادهم وغير ذلك، وهذا الاتجاه المحدود، لو تعززت وجهته في الدعوة السلفية، فستنتهى بنا حتماً إلى حصر الدعوة الإسلامية بشمولها في نوع من الجدل الكلامي الذى يكثر فيه تشقيق المعاني وتهويم الخواطر، وتناطح الأمثلة التجريدية، وإتاحة الفرصة تماماً أمام التيارات المنحرفة لصياغة الواقع الاجتماعى، وبنيان الأمة وفق مناهجهم الفاسدة.

وهذا الخلل في الحقيقة يقدم بصور مختلفة أخرى، منها الحديث عن أن »تصحيح العقيدة« فقط هو مطلب هذه المرحلة، وليس من واجب الداعية وربما ليس من المشروع له أن يحدث الـنـاس عـــــن الانحرافات الخلقية، أو أزماتهم الاقتصادية أو مشكلاتهم التشريعية، أو تحدياتهم الدولية، أو هموم واقعهم المختلفة، فلابد أولاً من تصحيح »عقيدة« الناس، ثم في مرحلة لاحقة نصحح باقى الانحرافات، ولا شك أن هذا انحراف كبير عن هدى محمد -صلى الله عليه وسلم-، ودعوة الإسلام قاطبة عند النبيين والمرسلين.
لقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يـدعـــو قومه إلى التوحيد الخالص في مكة، طوال ثلاث عشرة سنة، ليخرج قومه من ظلمات الجاهـلـيـــة والوثنية والإشراك بالله، إلى نور التوحيد ومع ذلك الحرص الشديد على دعوة التوحيد، فـــإن الـرســول -صلى الله عليه وسلم- كان يجتهد في تصحيح الانحرافات الاجتماعية كلها في الواقــع الـذى يعـيـشـه، ويقرن ذلك كله بالتوحيد، حتى لكأنهما بناء واحد لا يمكن فصل بعضه عن بعض في دعوة الحق، وحسبنا في ذلك القرآن المتلو في مكة:
ألم يكن مما تلاه -صلى الله عليه وسلم- على قومه في مكة ((»ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الـنـــاس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عـظـيـم، يوم يقوم الناس لرب العالمين«))(2) أرأيت كيف ترتبط الدعوة إلى العدل والقسط و »النزاهة« بالإيمان بالله واليوم الآخر؟!.
أولم يكن مما تلاه -صلى الله عليه وسلم- على الناس بمكة قول الحق تعالى: ((»أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدعّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون«))(3)
أرأيت كيف ارتبطت العقيدة بالسلوك الاجتماعى بالعبادة في رباط واحد وسياق واحد!
ألم نقرأ ما نزل من آخر سورة الفرقان، وفقه الدعوة وشمولها فيه: »((والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون«، »والذين لا يشهدون الزور«))(4).
ألم يربط القرآن أذهان المسلمين بالأحداث الدولية الجارية في زمانهم وآثارها على الجماعة المسلمة، رغم بعد المكان، وانعدام الصلة تقريباً من الناحية العملية بين هذه الجماعة وتلك الأحداث ((»غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد * ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله«))(5) وعلى هذا النهج فقس، وهو أمر يطول ويشغل الصفحات العديدة، وهذا كله فيما نزل بمكة، ولا يوجد موحد آنذاك على الأرض إلا بضع عشرات من المؤمنين بقرية من قرى كوكب الأرض، وهذا أسوقه لمن يقابل بين واقع المسلمين الحالى، وواقع مكة: من بعد الناس عن

التوحيد أو جهلهم به، وهذا أمر لا يسلم تماماً، فأوجه الافتراق واضحة، كما أن أوجه المشابهة موجودة أيضاً.
ثم هل جاء نبي أو رسول من رسل الله، إلا وكان يدعو إلى إصلاح المجتمع كله، وليس فقط تصحيح العقيدة فقط، ألم يكن منهم من جمع إلى التوحيد الدعوة إلى التنزه عن فاحشة إتيان الذكـــران، ومنهم من دعا إلى القسط في المعاملات التجارية ((»أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخـسـرين«)) (6)، ومنهم من دعا إلى إزالة التجبر والطغيان(7) ((»أتبنون بكل ريع آية تـعـبـثـون* وتـتـخـذون مـصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين* فاتقوا الله وأطيعون«)). أولسنا مأمورين بالاقـتــداء بـهــذه الكوكبة الرائعة من دعاة التوحيد. ((»أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده))(8).
إن الدعوة السلفية مطالبة بمحاصرة هذه الجـهـــود الانعزالية المنتسبة إلى المنهج السلفي، وهي في حقيقتها لا تتعدى الصورة الجديدة للمـنـهـج الصوفي الانعزالي القديم، الذى عزل الدين عن الدنيا وهموم المجتمع ومقتضيات الاستخلاف في الأرض، قبل أن تأتي العلمانية لتستثمر هذا »الانحراف« وتؤسس عليه تخريبها الكبير في ديار الإسلام.
الملحوظة الثانية: وهى محور أساس وجوهري من محاور الدعوة الإسلامية، يذهل المرء عندما يجد دعاة منتسبين إلى المنهج السلفي، ينازعون فيه، أو يحقرون من قيمته، وذلك هو أصل معرفة الزمان، والوعي العميق بالواقع الاجـتـمـاعــي الذي تتحرك فيه الدعوة، وتتنزل به الأحكام، وقديماً قال الصالحون: »رحم الله امرءاً عـــرف زمـانـــه فاستقامت طريقته«. إن البصيرة النافذة بأحوال الزمان، وأحوال الناس فيه، والعلاقات التي تتحكم في سلوك الناس الاجتماعي، وتؤثر في اتجاهات هذا السلوك، والضغوط التي تفعل فعلها في الواقع، وموازين القوى، وأعراف الناس المتغيرة، وهموم المسلمين وما عمت به البلوى وما لم تعم، والأخطار المحدقة بالأمة من خارجها ومن داخلها، ومواقع القوة أو الضعف فيها وفى أعدائها، ونحو ذلك من أحوال، فهذا كله ليس مجرد جهود محمودة، بل هى مطلب شرعى لا تستقيم الدعوة، ولا تنضبط أحكام الشريعة بدون تحصيله، وبــدون هذا الفقه للواقع لا يمكن لمسلم تنزيل قاعدة »المصالح والمفاسد«، ولا أصل »لا ضرر ولا ضرار«، ولا أصل »ارتكاب أخف الضررين« ولا باب »سد الذرائع« ولا باب »الضرورات العامة ومــا تعم به البلوى« وغير ذلك الكثير من مقتضيات الدعوة وأصول الأحكام، ومن دخل في شيء من هذا كـلــه بدون معرفة بالزمان وبصيرة بأحوال المسلمين وفقه لواقعهم، فهو »مغامر« ولا شــك، وضــــارب في عماية، ولا يؤمن جانب دعوته وفتواه أن تودي بالمسلمين إلى موارد الهلكة والفساد.
ولقد كــان مـن هـــدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، مراعاة أحوال الناس، والبصيرة بواقعهم وظروف الــزمـان، وموازين السلوك الاجتماعى، وكان

يوجه دعوته -صلى الله عليه وسلم- وفق ذلك الاعتبار، فيقدم ويؤخر، ويوجه ويرشد.
روت لنا كتب السنة الصحـيحــان والنسائي وأحمد واللفظ لمسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ألم تر أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم، قالت: فقلت يا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم، قال رسول الله : ولولا حدثان قومك بالكفر لفعلت«.
لقد وعى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، واقــع الـنـــاس، وحساسـيات ذلـك الواقع ووضع ذلك كله في اعتباره وتقديره، فأخر ما كان يحب فـعـلــه مراعاة لذلك الواقع، وقد ثبت أن ابن الزبير رضي الله عنه حقق ما أمله رسول الله -صـلــى الله عليه وسلم- فيما بعد، بعد أن تغير الواقع واختلفت موازينه.
وروت لنا كتب السنة اللفظ لمسلم في صحيحه من حديث معاذ بن جـبـــل رضي الله تعالى عنه قال: كنت ردفِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حمار يقـــال له عفير، قال فقال: يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال قلت يا رسول الله أفلا أبـشـــر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا.
وفى هذا الحديث الجليل فائدتان، الأولى هي هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما مـنــع إذاعة البشارة في ذلك الوقت، مراعاة لأحوال الناس، ومبلغ فقههم وانتشار العلم فيهم، ودرجـــــة وعيهم بوضع هذه البشارة من سياق التكليف كله، ومن لا يعرف واقع الناس لن يفهم قـيـمـــة ذلك الهدي الجليل، والفائدة الأخرى من اجتهاد »معاذ بن جبل« رضي الله عنه، عندما أذاع هذه البشارة قـبـل مـوتته، وما ذلك إلا لمعرفته بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن الـمـنــع كان متعلقاً »بواقع الناس« فلما »تغير الواقع« وشاع العلم، وتمكن الإسلام في النفوس أذاع البشارة تأثماً من كتمان العلم، ومعاذ رضي الله عنه هو من هو في معرفة الحلال والحرام، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد اختاره لتبليغ الدعوة ونشرها في »اليمن« وبعث مـعــــه أبا موسى الأشعري، وأوصاهما في مهمتهما الجليلة فقال: »يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تـنـفـــرا«(9) واليسر والبشارة أو العسر والتنفير ليسا من الأمور النظرية المجردة، وانما هى مرتبطة »بواقع الأحكام والدعوة في المجتمع وبين الناس« فمن جهل طبيعة الواقع أو تجاهل أحوال الـنـاس لم يدر هل يسر عليهم؟ أم عسر؟ وهل نفرهم عن الدعوة أم حببهم إليها؟ فضلاً عن مـتـى يكون التكليف »يسراً« في الواقع، ومتى يكون »عسراً«.

وواقعة حديث معاذ رضى الله عنه نفسها تكررت مــع أبى هريرة رضي الله عنه، وروتها كتب السنة، إذ حمله الرسول -صلى الله عليه وسلم- الـبـشــارة: »من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة« فـقــال عمر رضي الله عنه، لرسول الله ص: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهـم يعملون، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخلهم« (10)، وفى هذه الواقعة فائدة إضافية، وهى اجتهاد عمر رضي الله عنه في معرفة الزمان وأحوال الناس وواقعهم وبالتالي أثــر البشارة في ذلك الواقع، ولا شك أن اجتهاد عمر أتى من خلال معرفته بهدي نبيه ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن ذلك الاجتهاد متوافق مع ما تعلمه منه، لأن مثل عمر لا يقدم بين يدي الله ورسوله، ثم فائدة اجتهاد »أبي هريرة« في إذاعة الحديث في زمان لاحق، بدليل أنه وصلنا الآن ودونته كتب السنة.
وروت لنا كتب السنة واللفظ للبخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمعها الله رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وقال: ما هذا؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها مُنْتِنة، قال جابر: وكانت الأنصارُ حين قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر ثم كان المهاجرون بعدُ، فقال: عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي : دعهُ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتُل أصحابه«.
فانظر إلى حكمة النبي الكريم وهديه، فالخطاب لم يتعلق برفض ما ذهب إليه عمر رضي الله عنه من كونه يستحق القتل على فعلته، وإنما الخطاب تعلق بأثر ذلك الفعل في »الواقع« ومدى تأثيره في حركة الدعوة ومسيرة الجماعة المسلمة وفتنة الناس »لا يتحدث الناس أن محمداً يقـتـل أصحـابـه«، و »ابـن أبي« ليس من أصحابه ولا شك، ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يتحدث عن »واقع موضوعي« ينبغي مراعاته، بغض النظر عن »الحكم المطلق« إذ عامة العرب لا تعرف هذه »التفصيلات« الداخلية في الجماعة المسلمة، وإنمــا هي تنظر إلى مثل ابن أبي بن سلول على أنه من أصحاب محمد، فهل لنا من السير على مـثــل هـــذا الهدي النبوى الكريم؟!.
والـشـواهـــد على ذلك الهدي تطول، ولعل باحثاً نابهاً يجتهد في جمعها واستقصائها في دراسة شاملة، فهذا مما يحتاج إليه الشباب بخاصة في هذه الأيام، وحاصل الكلام هنا أن معرفة الزمان والبصيرة بالواقع، وفقه أحوال الناس، وهموم الأمة الداخلية والخارجية، هى مطلب شـرعـي ملح، ولا سيما في هذه الأيام، ولا تستقيم دعوة، ولا يهدى بيان، لا يمتلك هذا الأساس القوي

الجليل، وإن من يكابرون في ذلك ويعاندون ولا أقول يخالفون يلحقون أبلغ الضرر بالدعوة السلفية، ويفتحون باباً واسعاً لفتنة الناس والشباب في جدية هذه الدعوة وفاعليتها... وقيمتها.

الملحوظة الثالـثــة: وهى متعلقة بفقه الاختلاف، والذى تحول إلى ثغرة خطرة تهدد بنيان الدعوة، وتؤرق أبناءها، حيث أصبح كل خلاف ينشأ بين اثنين أو وجهتين من أبناء الدعوة هو بمثابة »حــرب شرسة«، لا توسط فيها ولا رحمة، والخائض فيها إما قاتل وإما مقتول، من سهام التـجـريح والتقريع والاتهام في النوايا والسرائر وترصد الشوارد وتلمس السقطات وغير ذلك على قاعدة »لا نجوت إن نجا«!

مسائل ثلاث:

والحديث هنا يتعلق بثلاث مسائل:

المسألة الأولى: وتتوجه إلـى أدب الاخـتــلاف، حيث يتوجب استحضار روح الأخوة والرحمة واللين وخفض الجناح وإحسان الظن فـي خــلاف أهل الإسلام، ولا سيما أبناء المنهج السلفي الواحد، فهم أهل ذلك وهم الأولى به، وضرورة النأي عن الفظاظة والقسوة والعنف والتجريح والطعن في النوايا، وهذا هو الأصل العام للدعوة الإسلامية:
((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن))(11).

والخلافات لا تنتهي في الفروع ومواطن الاجتهاد، فليس يعقل أن يصبح كل خلاف »مشروع حرب«، وتوطئة إلى القطيعة وربما السباب، إلى الحد الـــذي أصبحت فيه الخلافات بين أبناء الدعوة السلفية تتسم في كثير من الأحيان بالشراسة والمرارة والقسوة، فما أبعد الطريق بيننا وبين أخلاق سلفنا الصالح.

روى الذهبي في »سير أعلام النبلاء« قول يونس الصدفي رحمه الله تعالى قال: »ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقـيـني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مـسـألة«(12) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ».. ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة« (13).

المسألة الثانية: تتعلق بتوصيف الاختلاف، فعلى الرغم من أننا نملك نصوصاً واضحة في بيان »السعة« في أمر الاجتهاد، من أجلاها قول الرســـول الكريم : »إذا اجتهــد الحاكم فاصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر«(14) إلا أن كـثـيــراً من المختلفـيــن يـضــن بعضهم على بعض أن يكون له ولو أجر واحد، أو أن يتركه في حال سبيله لا عليه ولا له! إذ أن الخطأ الاجتهادي أصبح وضعاً غير معترف به الآن في الحــــوار، وحلــت محله

أوصاف أخرى، أشهرها »البدعة والكفر«، فمن خالف أخاه في مسألة فهو إما مبتدع، وإما كافر، أما أن يقول: مخطئ في اجتهاده، فهذا وصف أصبح عزيز المنال في واقعنا الحالي ولا حول ولا قوة إلا بالله.
الـمـسـألة الثالثة: وتتعلق بظـاهرة الترصد لأخطاء الآخرين، وتلمس عثراتهم، بـل، ونصب الشراك لهم، على طريقة: ماذا تقول في كذا؟ أتقصد أن تقول كذا؟، على أمل أن يظفر منه بهفوة أو سقطة فيطير بها، ويشنع عليه فيها، والحقيقة أن الأمر في ذلك وصل إلى حـــد مَرَضِي، يصعب تخيله في بعض المنتسبين إلى المنهج السلفي الراشد، وهناك من يحترف التنقيب في كتابات مخالفيه، ثم ينتقي منها فقرات يحملها على أسوأ محتملاتها ومعانيها، ليخلص منها بأن صاحـبـهــا قصد كذا وكذا، فهو إذن مبتدع أو ضال أو كافر، حسب التصنيف الذى يمن به عليه، وأحياناً يبدو للمتابع أن بعض »الناقدين« يسعد كثيراً إذا أثبت البـــدعة أو الكفر على أحد من المجتهدين أو الدعاة، وكأنه يبتهج بأن يتعزز صف الـمـبـتدعين والكفار بزيادة رمز جديد إليهم، هذا إذا صح ظنه وسلم طعنه، فكيف وأغلبها الأعم تحكمات في الأفهام، وتهويل في التأويل، واساءة ظن بأهل الإسلام.
لقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتلمس شبهات البراءة لأهل المعاصي، فيأتيه الرجل يقول له: زنيت فطهرني فيقول إمام الهدى: لعلك فعلت كذا، فيقول لا بل زنيت فطهرنى، فـيـعـــاود إمام الرحمة، لعلك فعلت كذا، مرات عديدة عساه يجد له مخرجاً، وتهمته معصية(15)، فما بالنا مع من تهمته الكفر والابتداع في الدين، لا سيما إذا كان من أهل الفضل أوالدعـــاة أو العلماء أو العاملين للإسلام، إن الأولى بالمسلم الراشد، أن يتلمس للناس المخارج، ولا سـيـمـا فـــي التهم الشنيعة، ويقول: لعله قصد كذا، ولعله أراد كذا، وربما لعله سها، لعله فاته الدليل، هذا هو سبيل الراشدين، وهذا هو نهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ليس فقط في ما هو محتمل، بل في ما هو وقوع في بدعة صريحة، وعرف عمن أخـطـــأ فيه السلامة، ولم يعرف عنه الدعوة إلى البدع والخروج على منهاج الـسـنـــة، يـقـــول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: »وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها مالم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفى المسألة نصوص لم تبلغهم، وإن اتقى الـرجــل ربه ما استطاع دخل في قوله ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)) وفى الصحيح قال: قد فعلت(16).
ويقول العلامة شمس الدين الذهبى في »سير أعلام النبلاء« في ترجمته عن »قتادة بن دعـامــة الـســدوسي« التابعي الجليل أحد أوعية العلم »... وكان يرى القدر، نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم

إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحرية للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطّـرحه، وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك(17).

الله أكبر، أين من هذا البيان الفذ من يتصيدون الكلـمـات والهفوات للدعاة، فيطيرون بها كل مطار؟ وأين من هذا البيان الراشد، من لا تقر أعيـنـهـم إلا بأن يثبتوا بكل سبيل وكل حيلة ضلال داعية أو ابتداع فقيه أو كفر مجاهد من المجاهدين؟

إن هذه الظاهرة الطارئة والشاذة من بعض أبناء الدعوة السـلـفـيـة، من شأنها أن تسيء إلى الدعوة برمتها، وأن تؤسس للفتنة، وتضع منهجاً جديداً للتدمـيـر، ولو أخذ كل داعية أو عامل بمثل هذا المنهج الاتهامي، فسوف يأتي يوم لا يوجد فـيــه على وجه الأرض سلفي واحد غير متهم، لأنك لن تعدم في أحد كائناً من كان إذا ترصــــدت ما كتب وما قال، أن تظفر عنده بكلمة أو عبارة أو سطر، تحتمل احتمالاً، أو حتى تـحـمـــــل سقـطـة أو هفوة، ونسأل الله اللطف بعباده.

هذه هى الملاحظات الثلاث التي أردت الوقوف عـنـدها، وعرضها على القارئ المسلم، ولا سيما الدعاة والعاملين في سلك هذه الدعوة، من بـــاب النصيحة لدين الله، ولدعوة الحق، وهى ملاحظات مراقب مجرد مراقب مسلم للظواهر الطارئة في الدعوة السلفية، أو المخاطر المرتبطة بها، وهى مخاطر تتهدد مستقبل هذه الدعوة، ومن ثم مستقبل الصحوة الإسلامية كلها، لأن الدعوة السلفية هى قطبها ودعــامـتـهـا، وروحها المحركة، أرجو أن أكون قد وفقت في بيان ما قصدت إليه فـيـهـــا، فإن أدركت الصواب فمن الله تعالي وبرحمته، وإن أدركني الخطأ فمن نفسي وبتقصيري، والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الهوامش :

(1) الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه، ووافقه الألباني في صحيح الترمذي من طرق وبألفاظ قريبة.
(2) سورة المطففين:1-6.
(3) سورة الماعون؛:1-5.
(4) سورة الفرقان:67، 68، 72.
(5) سورة الروم:2-5.
(6) سورة الشعراء:181.
(7) سورة الشعراء:128،131.
(8) سورة الأنعام:90.
(9) رواه البخاري.
(10) رواه مسلم.

(11) سورة النحل:125.
(12) سير أعلام النبلاء (10/16، 17).
(13) مجموع الفتاوى (4/172 173).
(14) رواه البخاري.
(12) سير أعلام النبلاء (10/16، 17).
(13) مجموع الفتاوى (4/172 173).
(14) رواه البخاري.
(15) الإشارة إلى قصة »ماعز« وهي في الصحيح بتمامها.
(16، 17) نقلاً عن كتاب أخينا الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الصويان (الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية) 118، 120، وهو من أجود ما كتبه المعاصرون حول هذه المسألة، جزى الله صاحبه خيراً.

دراسـات قرآنيـة

صـور من الاعـتـداء في الـدعـاء*

خالد بن عثمان السبت

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونـسـتـغـفـره، ونعـوذ بالله مــن شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسـلــم وعـلــى آله وصـحـبه أجمعين، أما بعد:
فــلا ريــب أن الـلـجـوء إلى الله تعالى فطرة فطر الله العباد عليها، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، كـمــا أن الدعاء عبادة عظيمة تُعد من أجلّ الطاعات وأفضل القربات، بل عده النبي هو العبادة كـمــا روى ذلـك أبـو داود وغيره من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً: »الدعاء هو العبادة، قال ربكم ادعوني أستجب لكم«(2).
وقد تظافرت النصوص من الكتاب والسنة في طلبه والثنـاء على أربابه وهذا أمر معلوم لكل أحد. إلا أن هذه العبادة الشريفة التي تقــرب الـعـبـد إلى ربه تبارك وتعالى قد يشوبها ما يجعلها موجبة لمقت الله عز وجل وغضبه. قال الله تـعالى ((ادعوا ربكم تضرعاً وخُفْيَةً إنه لا يحب المعتدين))(2) فهذه الآية تضمنت الأمر بالـدعــــاء بالوصفين المذكورين أولاً، كما تضمن ما يدل على النهي وذلك في قوله (إنه لا يحب المعتدين) فهذا يدل على النهي عن الاعتداء في الدعاء.
وحقيقة الاعتداء: مجاوزة حدٍ ما. وقيل: تجاوز الحد في كل شيء(3).

وقد تقاربت أقوال العلماء في بيان معناه هنا - أي الـمـتـعلق بالدعاء - وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى (إنه لا يحب المعتدين) (2).
فقال ابن جرير رحمه الله: »إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لبعاده في دعائه وفي غير ذلك من الأمور«(4).
وقال الطرطوشي: »يعني المجاوزين في الدعاء ما أُمروا به«(5).
وقال القرطبي: »والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر«(6).
وقال ابن القيم بعد أن ذكر بعض أنواع الاعتداء في الدعاء: »فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله«(7).
ولما كان هذا الأمر - أعني الاعتداء في الدعاء - يكثر وقـوعـــــه، رأيت أن الحاجة ماسة للحديث عن هذه الآفة ليحذرها المسلم.
والاعتداء في الدعاء تارة يكون في الأداء والطريقة، وتارة يكون في الألفاظ والمعاني، ويتفرع عن ذلك أمور كثيرة، وسوف أذكر في هذا المقام عشرين نوعاً مـــــن أنواع الاعتداء التي يدخل تحت كل نوع منها صور كثيرة:
النوع الأول: أن يشتمل الدعاء على شيء من الشرك: وهذا من أسوأ الاعتداء وأشنعه كما لا يخفى لأن الدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل.
النوع الثاني: أن يطلب نفي مادل السمع على ثبوته: كأن يدعو لكافرٍ أن لايُـعـذب أو يُخلد في النار، أو يسأل ربه أن لا يبتليه أبداً، أو لا يبعثه، أو أنً لا يُدخـــــل أحـداً من المسلمين النار، أو أن لا تقوم الساعة...، ونحو ذلك.
النوع الثالث: أن يطلب ثبوت ما دل السمع على نفيه. كأن يدعو على مؤمن أن يخلده الله في النار، أو يدعو لكافر أن يدخله الله الجنة، أو يدعوا لنفسه أو لغيره - غير النبي -صلى الله عليه وسلم- - أن يكون أول من تنشق عنه الأرض، أو أول من يدخل الجنة.
أو يسأل ربه الخلود إلى يوم القيامة، أو يطلب الاطلاع على الغيب، أو يسأل العصمة من الخطأ والذنوب مطلقاً.
النوع الرابع: أن يطلب نفي ما دل العقل على ثبوته.
النوع الخامس: أن يطلب إثبات ما دل العقل على نفيه، كأن يسأل ربه أن يجعله في مكانين في وقت واحد، أو كأن يشهد الحج وفي نفس الوقت يكون مرابطاً في الثغور، أو يدعوا على عدوه أن يكون غير موجود ولا معدوم، أو غير حي ولا ميت »أعني الحـيـــاة والموت الحقيقية«.
وهذا النوع والذي قبله ذكرتهما تكملة للقسمة في مقام التفصيل والتبيين الذي يغتفر فيه ما لا يغتفر في مقام الإجمال، ولا يخفى ما بين العقل والنقل من الموافقة.

النوع السادس: أن يسأل ما هو من قبيل المُحال عادة: كأن يطلب ربه أن يرفع عنه لوازم البشرية بأن يستغنى عن الطعام والشراب، أو النفس،. أو يطلب الولد ولم يتزوج أو يتسرى، أو يسأل الثمر من غير زرع، أو يدعو ربه أن يعطيه جبلاً من ذهب، أو يمطر عليه السماء ذهباً وفضة، أو يسأل الطيران دون فعل أسبابه العادية المعروفة، أو النصر على الأعداء (وأن يجعلهم الله غنيمة للمسلمين) ولم يُعد لذلك العدة، وكأن يسأل النجاح دون دراسة.

النوع السابع: أن يطلب نفي أمر دل السمع على نفيه، فهذا من قبيل تحصيل الحاصل.

كـــأن يـقـــول: اللـهـم لا تهلك هذه الأمة بعامة، ولا تسلط عليها عدواً من سوى أنفسها فيستبيح بيـضـتـهـا فهذان أمران دعا بهما النبي -صلى الله عليه وسلم- وأجيبت دعوته وأخبرنا بذلك، فإن دعــوت بذلك كان من قبيل ما ذكرت والله أعلم، ومن ذلك أن يدعو ربه أن لا يدخل الكفار الجنة إن ماتوا على كفرهم.

النوع الثامن: طلب ثبـوت أمرٍ دل السمع على ثبوته(8)، وهذا مثل الذي قبله، لكن يفرق في صور عدة بين الدعاء لمعين وبين الدعاء العام.

النوع التاسع: أن يعلق الدعاء على المشيئة(9)، قال البخاري رحمه الله في صحيحه: »باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له« وذكر تحته حديثين:

الأول: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له(10) والثاني: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت -، ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له (11).

النوع العاشر: الدعاء عـلـى مـــن لا يستحقه. (أي: يظلم في دعائه):

أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضـــي الله عنه مرفوعاً: »لا يزال يُستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم«(12).

وقد جاء في دعاء النبي -صلى الله عـلـيــه وسلم- - كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: »رب أعني ولا تُعِن علي - إلى أن قال - وانصرني على من بغي علي..«(13).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: »فقوله: وانصرني على من بغى علي« دعاء عادل لا دعاء معتد يقول: انصرني على عدوى مطلقاً.

ومن الاعتداء قول الأعرابي: »اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً« فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- : »لقد تحجرت واسعاً« يريد رحمة الله«(14).

النوع الحادي عشر: طلب تحصيل المحرم شرعاً: كأن يسأل ربه أن ييسر له خمراً يشربها، أو خنزيراً يأكله، أو امرأة يزني بها، أو مالاً يسرقه، أو وقتاً ومالاً ليسافر إلى بلاد الكفر أو الفسق بلا حاجة معتبرة.

النوع الثاني عشر: رفع الصوت فوق الحاجة (15).

فإذا كان الإنسان يدعو بمفردة فالأصل في ذلك الإسرار بالمناجاة كما قال تعالى: ((ادعوا ربكم تضرعاً وخفية))»(2).

لكن إن كان معه من يُؤمن على دعائه، كالإمام في القنوت، أو الاستسقاء أو نحو ذلك، فإنه يرفع صوته على قدر الحاجة، ويُؤمن من خلفه على دعائه دون صياح ورفع زائد على القدر المُحتاج إليه؛ لأن ذلك قد يتنافى والأدب مع الله عز وجل.

وقد فسر بعض السلف قوله تعالى: (إنه لا يحب المعتدين) (2) بالذين يرفعون أصواتهم رفعاً زائداً على الحاجة (17).

قال ابن المُنيّر رحمه الله: »وحسبك في تعين الإسرار في الدعاء اقترانه بالتضرع في الآية، فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى، فكذلك دعاء لاخفية ولاوقار يصحبه.

فائدة: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلمـيــذه ابن القيم رحمهما الله فوائد كثيرة تتعلق بخفض الصوت والإسرار بالدعاء(18).

النوع الثالث عشر: أن يدعو ربه دعاءً غير متضرع، بل دعاء مُدل كالمستغني بما عنده المدلّ على ربـه بـه.

قال ابن القيم رحمه الله: »وهذا من أعظم الاعـتــــداء الـمنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد«(19).

النوع الرابع عشر: أن يسمي الله بغير أسمائه، ويثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولم يأذن فيه، وهذا ظاهر لا يخفى.

النوع الخامس عشر: أن يسأل ما لا يصلح له: مثل أن يسأل منازل الأنبياء، أو أن يكون مَلَكاً لا يحتاج إلى طعام ولا شراب، أو أن يُعطى خزائن الأرض، أو يُكشف له عن الغيب، أو غير ذلك مما هو من خصائص الربوبية أو النبوة.

النوع السادس عشر: تكثير الكلام الذي لا حاجة له، والتطويل في تشقيق العبارات، والتكلف في ذكر التفاصيل، كأن يدعو ربه أن يرحمه إذا وضع في اللحد تحت التراب والثرى، وبين الصديد والدود، وأن يرحمه إذا سالت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تولى الأصحاب، وقسم ماله وترك دنياه، أو يدعو على عدوه أن يخرس الله لسانه، ويشل يـده، ويجمد الـدم في عـروقه وأن يسلب عقله فيكون مع المجانين.. إلخ.

أخرج أبو داود وغيره عن أبى نعامة عن ابن سعد »ابن ابي وقاص« أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا، فقال: يابُني: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »سيكون قوم يعتدون في الدعاء« فإياك أن تـكـــون منهم، إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها، وإن أعذتَ من النار أعذت منها وما فيها من الشر«(20).
وأخرج أيضاً عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: »اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بُني، سل الله الجنـــــة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: »إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء«(21).
ولا شك أن هذا مـخــالــف لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعاء، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتخير من الدعاء أجمعه.
أخرج أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: »كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستحب الجوامع من الدعاء، ويدعُ ما سوى ذلك«(22).
وأخرج أيضاً عن قتادة رحمه الله أنه سأل أنساً رضي الله عنه: أي دعوة كان يدعو بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها. »اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار«(23).
وجاء عند البخاري من حديث أنس: »كان أكثر دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- : »ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار«(24).
النوع السابع عشر: أن يتقصد السجع في الدعاء ويتكلفه.
قال البخاري رحمه الله في صحيحه: »باب ما يكره من السجع في الدعاء« ثم ذكر أثراً عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: »حدث الناس كل جمعة مـــــرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقـص عليهم فـتـقـطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه. فانظر السجع في الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفـعلون إلا ذلك الاجتناب«(25).
قال الحافظ: »ولا يرد على ذلك ما وقــع في الأحاديث الصحيحة؛ لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه، ولأجـل هذا يجيء في غـــايـة الانسـجام كقوله -صلى الله عليه وسلم- في الجهاد: »اللهم منزل الكتاب، سريع الحـســاب، هازم الأحزاب« وكقوله -صلى الله عليه وسلم- : »صدق وعده، وأعز جنده« الحديث، وكـقـولـه: »أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع« وكلها صحيحة، قال الـغـزالي: »المكروه من السجع هو المتكلف، لأنه

لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففي الأدعية المأثـــورة كلمات متوازية لكـنـهــا غـيــر متكلفة«(26).
ثـم ذكــر كلامـــــاً قال بعده: »وقد تتبعت دعوات الأنبياء والمرسلين، والمصطفين من عبادة المخـبـتـيـن، واسـتـخرجت ما وجدت في القرآن من ذلك فوجدت جميعها: (ربنا ربنا) أو »رب«، ثم أورد جملة من الأدعية الواردة في القرآن ليدلل على ذكره(27)

النوع الثامن عشر: قصد التشهق كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بحيث لا يكون ذلك بسبب غلبة البكاء وإنما هو أمر يعتمده ويطلبه.

النوع التاسع عشر: أن يتخذ دعاءً من غير الوارد في الكتاب والسنة بحيث يصير ذلك شعاراً له يداوم عليه (28). كمن يخصص دعاء معيناً بقوله عند ختم القرآن أو غير ذلك.

النوع العشرون: التغني والـتـلـحـيـن والمطيط، قال المناوي: »قال الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط، والمبالغة في الصياح، واالاشتغل بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الـــرد، وهذا معلوم إن كان قـصـده إعجاب الناس به، فكأنه قال أعجبوا من حسن صوتي وتحريري(29).

هذا ما تيسر انتقاؤه من كـتــب أهل العلم، والله أسأل أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

* في هذا الموضوع راجع: مـسـائـل الإمــام أحـمـــد بن حنبل »رواية صالح« 1/171 الفروع 1/458، الفتاوى 10/713 - 714، الفروق للقرافى 4/259-265، تفسير القرطبي، والقاسمي، والمنار للآية رقم 55 من سورة الأعـــراف، الدعاء للطرطوشي ص 154-155، تلخيص الاستغاثة ص 93-95، بدائع الفوائد 3/12-14.

(1) أبو داود رقم (1479)، وانظر صحيح أبي داود رقم (1312).
(2)الأعراف:55.
(3) انظر الكليات للكنوي ص 150.
(4) تفسير الطبري 8/207
(5) الدعاء للطرطوشي ص 154.
(6) تفسير القرطبي 7/226.
(7) بدائع الفوائد 3/13.
(8) ولا يشكل على ذلك بعض ما يشرع لنا طلبه كالوسيلة لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن هذا الأمر قد تعبدنا الله به.

(9)انظر كتاب الدعاء للطرطوشي ص 48
(10) البخاري رقم 6338
(11) البخاري رقم 6339
(12) البخاري 11/119، ومسلم 2735.
(13) أحمد 1/227، أبو داود 1510، 1511، صحيح أبي داود 1230، والترمذي 2/272، وابن ماجة 3830
(14) تلخيص الاستغاثة 94.
(15) انظر كتاب الدعاء للطرطوشي ص 155-182، والآداب الشرعية 2/272.
(16) الفتاوى 22/468-469.
(17) انظر: ابن جرير 8/207، الدعاء للطرطوشي 154، بدائع الفوائد 3/13، القاسمي 7/150.
(18)انظر الفتاوى 15/15 - 19، وبدائع الفوائد جـ3 / 610.
(19) بدائع الفوائد 3/13.
(20) أبو داود رقم 1480، صحيح أبي داود رقم 1313.
(21) ابو داود رقم 96، صحيح أبي داود رقم 87.
(22) أبو داود رقم 1482، صحيح أبي داود رقم 1315.
(23) أبو داود رقم 1519، صحيح أبي داود رقم 1344.
(24) البخاري 6389.
(25) البخاري 6337.
(26) الفتح 11/139.
(27) الدعاء للطرطوشي 146-151.
(28) أنظر الفتاوى 22/511.
(29) فيض القدير 1/229.

منتدى القراء

ما هـو دوري؟

أحمد العجروش

إن مآسي الأمة أيها الحبيب ليست قصة خيالية تُروى في المجالس ولا حدث يحدث في كوكب ما، بل هي أحداث صحيحة وخطيرة، وإن لم يفقه المسلمون الموقف، فإننا بلا شك مسؤولون يوم القيامة، ومن هذه المآسي مــا يـحــدث لإخواننا في البوسنة والهرسك، تلك البلاد المسلمة التي اجتاحتها جحافل الظلم الصربي الــذي يـقـــول:»سـنـنـقذ أوروبا من الإسلام«!! ومآسي أفريقيا التي كساها الجوع والجهل، والمرض، مما ساعد عـلـى سـيطـرة الـنـصـارى هـنــاك، فدخلوا على الصومال وأرتيريا وهدفهم

الوحيد السيطرة على الأرض الغنية بكل الثروات، وإجهاض ما بدا من توجه إسلامي هناك، وحب للإسلام بين أهله، ولا ننسى كذلك جنة الدنيا كشمير التي يحتلها الهندوس الحاقدون على الإسلام وأهله.

وبعد هذا، قد تسأل: ما دوري في ما يحدث؟ وماذا يجب أن أعمل؟

الجواب: تستطيع أن تعمل، ولك دور بلا شك، لأنك مسلم والإسلام دين قوة وجد وصبر على المصاعب، والحل والله أعلم كالتالي:

1- يجب الـعــودة والتوبة إلى الله والاعتراف بالذنب، والاتصال الدائم بالله مما يساعد على قوة القلب والـصـبــر في طريق الدعوة، وأن نؤمن بوعد الله ونصره للمؤمنين؛ لأنه هو الناصر المعين، قال الله تـعـالـى: ((يأيهـا الذين آمـنــوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم))(1).

2- تخليص القلب من الأحقاد التي زرعها المرجفون في قـلوبنا حقداً على بعضنا فأنسونا أخوة الإسلام، ونحن نقف بين يدي الله في صف واحد قـال تعالـى: ((إنـمـا الـمـؤمنون أخوة...))(2).

3- إصلاح النفس ودعوتـهـا لطريق الهدى، وذلك بالعلم النافع والعمل الصالح لكي يسود الخير في المجتمع، ويكون للإسلام صولة وجولة في كل الميادين، قال تعالى: ((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين))(3).

4- إصلاح المجتمع والبدء بالبـيـت والـحي والمدرسة، وذلك بالدعوة إلى الله بالـحـكـمــة والـمـوعـظـة الحسنة والخلق الفاضل،قــال الله تعالى:((واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعــد وكـــان رسولا نبيا، وكــان يأمر أهله بالصلاة والزكــاة وكــان عـنـد ربه مرضيَا))(4).

وأخيراً أسأل الله أن ينصر إخواننا في كل مـكــان وأن يثبـت أقدامهم وأسأله أن يؤلف بين قلوبنا ويجعلنا من الراشدين.

الهوامش :

(1)سورة محمد:7.
(2)سورة الحجرات:10.
(3)سورة فصلت:33.
(4)سورة مريم:54، 55.

من ثمار المنتدى

أنشطة المنتدى الإسلامي

المنتدى الإسلامي مركز من مراكز أهـــل السنة والجماعة يـسـير على منهجهم ويدعو إلى أصولهم ويذكر بطريقتهم السليمة من الغلو والانحراف، وهـو يستقبل بكل رحابة صدر أي مسلم مهما كان لونه أو جنسيته.

ويسرنا هنا تقديم هذا التقرير الشامل لبعـض أنشطـته التي تمت بعون من الله وتوفيقه ثم بتعاونكم وتشجيعكم لنا ماديا ومعنوياً، سائـلـيـن الله أن يجعلنا جميعاً من المتعاونين على البر والتقوى، ونحن في حاجة إلى دعائكم وآرائكم ومؤازرتكم.

أولا:الأنشطة الثقافية: وتشمل الآتي:

1 - الدورات الشرعية: تهدف هـــذه الدورات إلى تصحيح وترشيد العمل الإسلامي، ورفع المستوى العلمي لدى الدعاة، وتأصيـلـــه تأصيلاً شرعياً، مبنياً على الكتاب والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح.

وقد قام المنتدى الإسلامي بتنظيم عدد من الدورات الشرعية، بلغ عددها ولله الحمد والمنة خمس عشرة دورة، شارك فيها نخبة من العلماء وطلبة العلم، والأســاتذة والـمتخصصون، وقدم فيها: دروس في العقيدة ومنهج السلف الصالح، وعلوم القرآن، وعـلـــوم الحـديث، والفقه وأصوله، والسيرة النبوية والتاريخ، وحاضر العالم الإسلامي، والآداب الإسلامية.

وكانت الدورات موزعة كالتالي:

في لندن: ست دورات.
بنجلاديش: دورتان. استمرت كل دورة لمدة أربعة أشهر.
السودان: دورتان.
تشاد: دورتان.
مالي: دورة واحدة.
كينيا: دورة واحدة.
أوغندا: دورة واحدة.

2 - الملتقيات الدعوية: تهدف هذه الملتقيات الدعوية إلـى مـعــالجة مشكلات الدعوة والدعاة، وتنمية القدرات الدعوية والعلمية لدى المشاركين.

وتم بحمد الله تعالى عقد (18) ملتقى دعوياً في عدد من الدول، موزعة كالتالي:

في لندن: 16 ملتقى دعوياً، كان آخرها: الملتقى السادس عشر في الفترة من 20-21رجب 1414 هـ شارك فيه كل من: الـدكـتـــور جـعـفــر شيخ إدريس، والدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والشيخ عبد الرحمن دمشقية، والاســـتـاذ محـمـد الأحمري، والاستاذ عثمان رمضان.

في غانا: ملتقى دعوياً واحداً استمر لمدة عشرة أيام ما بين 24/2 إلى 5/3/1414 هـ شارك فيه 131 داعية من دول غرب أفريقيا وكان شعار الملتقى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاْ ولا تفرقوا)).

في كينيا: ملتقى دعوياً واحداً استمر لمدة عشرة أيام ما بين 1/3 إلى 10/3/1414 هـ شارك فيه (85) من الدعاة من دول شرق أفريقيا.

3 - الحلقات والدروس الأسبوعية: واظب المنتدى الإسلامي منذ إنشائه على عقد دروس أو محاضرات في كل يوم سبت في مركزه الرئيسى في لندن.
بالإضافة إلى أن كل داعية تابع للمنتدى الإسلامي يكلف بعقد حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، ودروس أسبوعية ثابتة في العلوم الإسلامية.
كما يقوم الدعاة التابعون للمنتدى في مختلف الدول بإلقاء الخطب والمحاضرات، في شتى المعارف الإسلامية، في المساجد، والمدارس، والتجمعات العامة، وإقامة حلقات لتحفيظ القرآن الكريم.

4 -مطبوعات المنتدى الإسلامي:

(1)مجلة البيان: بدأ المنتدى الإسلامي بإصدار هذه المجلة في عام 1406هـ.
(2)نشرة المنار »وهى نشرة تصدر باللغة الانجليزية توزع في جميع أنحاء بريطانيا، كما توزع في أمريكا، وتتناول هذه النشرة بعض البحوث المبسطة في الدين الإسلامي، وهى تهتم بمخاطبة الناطقين باللغة الانجليزية.
(3)إصدارات المنتدى الإسلامي: يقوم المنتدى الإسلامي بطباعة الكتب والرسائل المفيدة، مــع الحـــــرص على حسن الاختيار والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومن هـذه الإصدارات:

- جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحله.
- التجديد في الإسلام.
- الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة.
- أيعيد التاريخ نفسه؟
- رؤية إسلامية للاستشراق.
- الهزيمة النفسية عند المسلمين على ضوء الكتاب والسنة.
- خواطر في الدعوة (جزءان).
- منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين.
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة.
- على من تعرض الصور؟ (مأساة المسلمين في البوسنة).
- علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام.
- البدواة والحضارة (نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون).
- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي.

(4)طباعة الكتب المترجمة: قام المنتدى الإسلامي بطباعة عدد من الكتب الإسلامية المترجمة إلى عدد من اللغات، ومنها:
(أ) الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب باللغة الفرنسية.
(ب) الأصول الثلاثة بلغة الهوسا.
(جـ) الخطوط العريضة بلغة الهوسا.
(د) رفع الملام عن الأئمة الأعلام باللغة البنغالية.

(هـ) توجيهات إسلامية (لجميل زينو) باللغة البنغالية.
(و) عقيدة أهل السنة والجماعة (لجميل زينو) باللغة البنغالية.
(ز) مبادئ الإسلام باللغة البنغالية.
(ح) تحفة الأخيار للشيخ عبد العزيز بن باز باللغة الأندونيسية.
(ط) إلى ابنتي للشيخ علي الطنطاوي باللغة الأندونيسية.
(ي) القضاء والقدر للشيخ محمد بن عثيمين باللغة الأندونيسية.

ثانياً: برنامج تعيين الدعاة :

قام المنتدى الإسلامي بحمد الله تعالى بتعيين: خمسمائة داعية في عدد غير قليل من الدول الإفريقية والآسيوية. مثل (كينيا، وأوغندا والصومال، وبوركينا فاسو، وساحل العاج، وأثيوبيا، والسودان وتشاد ومالي، والنيجر، ونيجيريا، وبنين، وغانا، وتوجو. والسنغال وبنجلاديش، وباكستان، والفلبين وأندونيسيا.. وغيرها) ليكون ذلك إن شاء الله تعالى إسهاماً في نشر منهج أهل السنة والجماعة. ويخضع تعيين الداعية لشروط عدة، من أهمها:

1 -سلامة المنهج معتقداً وسلوكاً.
2 -الكفاءة العلمية.
3 -الكفاءة الدعوية.

وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناء عليها، وتتم متابعةالداعية عن طريق المشرف الدعوي في المنطقة نفسها، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك. ومن خلال زيارات دورية يقوم بها مسؤولو المنتدى الإسلامي إلى مناطقهم حيث يتم توجيههم وإرشادهم.

ويحرص المنتدى الإسلامي على رفع المستوى الشرعي والدعوي لهؤلاء الدعاة عن طريق الدورات الشرعية، والملتقيات الدعوية، وتوفير المكتبات والكتب، ونحوها.

ثالثاً:حلقات تحفيظ القرآن الكريم:

يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً خاصاً بكتاب الله عز وجل حفظاً وتلاوة ودراسة، من خلال إقامته لحلقات وخلوات تحفيظ القرآن الكريم، ويبلغ عدد الحلقات التي يشرف عليها المنتدى (418) حلقة، يستفيد منها بحمد الله تعالى: (12540) طالباً وطالبة.

وتتوزع هذه الحلقات في عدد كبير من الدول، منها: كينيا، وأوغندا وتشاد، ومالي، والسنغال، والصومال، وأثيوبيا، وغانا، وباكستان وبنجلاديش، والفلبين وغيرها.

وقد أعد المنتدى خطة متكاملة للارتقاء بمستوى الحلقات، ووضع منهجاً علمياً رديفاً في التوحيد، والفقه، والتفسير، والآداب الشرعية.

يهتم المنتدى الإسلامي بالنشاط التعليمي اهتماماً بالغاً، إذ أن العلم ركيزة رئيسة من ركائز البناء والعطاء. ويشرف المنتدى الإسلامي بفضل الله تعالى على 27 مدرسة، يستفيد منها قرابة 5000 طالب وطالبة. وهي موزعة كالتالي:

في لندن: توجد مدرسة واحدة.

في كينيا: توجد 12 مدرسة ابتدائية.

في غانا: أقام المنتدى ثمان مدارس.

في أثيوبيا: توجد مدرستان.

في أوغندا: يوجد مركز تعليمي واحد يحتوي على الروضة، والمرحلة الابتدائية والمتوسطة، والثانوية.

في النيجر: مدرسة متوسطة.

في باكستان: يوجد مجمعان تعليميان يضم كل منهما المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

ويحرص المنتدى الإسلامي على توفير المناهج الدراسية اللازمة حيث وزعت 2000 نسخة من الكتب على بعض المدارس الإسلامية في غانا و5000 كتاب في بنجلاديش.

رابعاً:القوافل الدعوية:

المناطق الإسلامية مناطق كبيرة مترامية الأطراف وعرة المسالك والدروب وقد انتشر الإسلام بحمد الله تعالى في مختلف الأدغال والقرى النائية ولكن غلب الجهل على المسلمين في المدن الرئيسة فضلاً عن القرى والهجر النائية، مما جعل البدع والشركيات والسحر والكهانة تنتشر في أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً. ومثل هؤلاء الجهلة هم البيئة الخصبة غالباً للنشاط الكنسي حيث أقيمت المراكز التنصيرية في القرى النائية، واستقر المنصرون يعملون بين المسلمين.

ولصعوبة الانتقال من منطقة إلى أخرى، ولوعورة الطرق وخطورتها في بعض الأحيان، كلف المنتدى الإسلامي دعاته بإعداد القوافل الدعوية التي تنطلق إلى مختلف الأماكن التي ينتشر فيها المسلمون وغيرهم من الوثنين والنصارى، وذلك حرصاً على الوصول إلى الأماكن البعيدة والدعوة، لنشر العقيدة السلفية الصافية، ومحاربة البدع والخرافات.

ومن أجل أن يكون تأثير القافلة على المستوى الأمثل، رأى المنتدى أن يرسل طبيباً مع كل قافلة لعلاج المرضى وتوزيع الأدوية، كما تحمل القافلة أحياناً بعض الملابس والمواد الغذائية، وبعض الكتب باللغات المحلية، وذلك من أجل تأليف الناس وتقريبهم إلى الإسلام.

وقد تم بفضل الله تعالى تنفيذ (18) قافلة دعوية، موزعة كالتالي:

في الفلبين: قافلتان.

في نيجيريا: أربع قوافل.
في بنجلاديش: قافلتان.
في كينيا: أربع قوافل.
في الصومال: أربع قوافل.
في السودان: قافلة واحدة.
في أوغندا: قافلة واحدة.
وأثمرت هذه القوافل بحمد الله تعالى نتائج إيجابية مشجعة للمزيد من العطاء، حيث أقبل الناس على العلم، وبدأوا يتعرفون على العقيدة الصحيحة، والعبادات السليمة، إضافة إلى الوثنيين الذين يسلمون على أيدي هؤلاء الدعاة.

خامساً:بناء المساجد:

قام المنتدى الإسلامي بحمد الله تعالى ببناء 135 مسجداً وجامعاً، في أماكن ودول مختلفة. موزعة كالتالي:
باكستان: أربعون مسجداً.
بنجلاديش: خمسة وعشرون مسجداً.
غانا: ثلاثة عشر مسجداً.
كينيا: سبعة عشر مسجداً.
الصومال: أحد عشر مسجداً.
أوغندا: سبعة مساجد.
تشاد: ستة مساجد.
أندونيسيا: خمسة مساجد.
مالي: ثلاثة مساجد.
الفلبين: ثلاثة مساجد.
السودان: مسجدان.
نيجيريا: مسجد واحد.
السنغال: مسجد واحد.
أثيوبيا: مسجد واحد.
ويحرص المنتدى الإسلامي على تعيين داعـيـــــة مؤهل في كل مسجد يقوم ببنائه، ليتولى الإمامة، وإقامة الدروس الشرعية، ووعظ ا لناس، وتدريس كتاب الله عز وجل.

سادساً:المراكز الإغاثية:

قام المنتدى الإسلامي بحمد الله تعالى بإنشاء 25 مـركـــزاً إغاثياً، اثنان منها في أثيوبيا، والباقي في كينيا في مواقع اللاجئين الصوماليين.

كما قـــام المنتدى الإسلامي بنشاط إغاثي واسع في وسط الصومال وشماله ونشاط إغاثي في مواقع اللاجئين البورميين في بنجلاديش، استفاد منه حوالي عشرة آلاف لاجئ بورمي.
كما أعد المنتدى حملات إغاثية عاجلة للمتضررين من الفيضانات في بنجلاديش، حيث تم بناء سبعين مسكناً، ووزعت المواد الغذائية والملابس.
ويحرص المنتدى الإسلامي على أن يكون النشاط الإغاثي طريقاً للنشاط الدعوي، بتعيين الدعاة في أوساط اللاجئين، وبناء المساجد، وافتتاح حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتوزيع المصاحف والكتب.

سابـعاً:حفر الآبار:

نتيجة لـمـوســم الجفاف والقحط الذي ساد القارة الأفريقية، وحاجة المسلمين إلى مصادر للمياه النقية، عمل المنتدى الإسلامي ولازال يعمل على سد حاجة المسلمين في هذه المناطق وغيرها بالمياه الصالحة للشرب.
وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن 65 بئراً سطحياً، وبئرين إرتوازيين موزعة كالتالى:

الدولــة	عدد الآبار
غانا	23
أثيوبياً	8
الصومال	10
بنجلاديش	8
باكستان	12
أوغندا	1
مالي	1
كينيا	2

بالإضافة إلى بئر ارتوازي في كينيا وبئر ارتوازي يعمل بالطاقة الشمسية في تشاد.

ثامناً:مشروع مكافحة العمى:

أقام مركز الســــنــــد الإسلامي بالباكسـتان باشـراف المنتدى الإسلامي وتنظيمه وإدارته مخيماً طبياً لمدة خمسة أيام في تشاد في الفترة من 14/6 إلى 19/6/1414 هـ لمعالجة أمراض العيون كانت حصيلته ولله الحمد والمنة ما يلي:
علاج: أكثر من 5000 مريض، مع صرف الأدوية اللازمة.
إجراء: 378 عملية.

توزيع: أكثر من 1500 نظارة.
وقد رافق هذا الـمـخـيــم نشـــاط دعوى مكثف شارك فيه أربعون داعية، حيث تم توزيع 12٫000 شريط، وكمية كبيرة من المصاحف والكتب باللغتين العربية والانجليزية.
ومن حصيلة هذا المخـيـم المباركـــة: إسلام 23 نصرانياً، وسوف يأتي إن شاء الله تعالى في العدد القادم تقرير مفصل عن هذ المخيم.

تاسعاً مشروع إفطار الصائمين:

يقوم المنتدى الإسلامي ســنـوياً بفضل الله تعالى بإعداد مشروع لإفطار الصائمين في عدد من دول العالم الإسلامي، كان من آخرها برنامج إفطار صائم في رمضان 1413 هـ وبلغ إجمالي ا لمبالغ المصروفة على هذا البـرنـامج حوالي (438٫000 دولار أمريكي)، وكان عدد إجمالي الوجبات المقدمة 836993 وجبة شملت (18) دولة.
وصاحب هذا البرنامج محاضـــــــرات ودروس يومية في العقيدة والصلاة والصيام والسيرة والتفسير والآداب والرقائق.

عاشراً رحلة الحج والعمرة:

ينظم المنتدى الإسلامي سنوياً رحـلــة حج وعمرة لخدمة الجالية المسلمة في بريطانيا وقد شارك في رحلة الحج السادسة لعـام 1413 هـ: 100 مسلم ومسلمة بالإضافة إلى رحلات العمرة، ويقدم في هذه الرحلات عــــدد من الدروس والمحاضرات واللقاءات العلمية مع العلماء وطلاب العلم.
وبعد: فهذا بعض من الأنشطة التي قام بها المنتدى الإسلامي إضافة إلى مشروعات متفرقة مثل كفالة الأيتام ومراكز الخياطة والمناهج الدراسية وغيرها.
ومن الجدير بالـذكـر أنه يجري الآن الإعداد لافتتاح أربعة معاهد لتأهيل الدعاة في كل من أثيوبيا وغانا والسودان وكينيا وذلك من أجل تربية وإعداد الدعاة المؤهلين لحمل راية أهل السنة والجماعة.
والله نـســـــأل أن يبارك في هذه الجهود الخيرة، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يوفقنا لإكمال هذه المسيرة على المنهاج الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مكاتب المنتدى الإسلامي في أفريقيا

الـورقـة الأخـيـرة

تنوير أم تزوير؟!

أحـمـد الـعـويـمـر

مـر على أمتنا الإسلامية فترة حـرجــة مـنــذ القرنين الماضـيـيـن عاشت فيها أسوأ مراحل حياتها حينما كانت في الغالب بعيدة عن أصـالــة إسلامها بعـقـيـدتــه الصحيحة وأصوله الفكرية المعتبرة وحُكمَت في جل أقطارها بزعامات لا تعرف الحكم بـمــــا أنزل الله وإنما حكمت بما توارثته من أحكام عشائرية أو أنظمة مستوردة فكان نتيجة ذلــك أن ركـــدت العقــول وانحسر المد الإسلامي، وتضاءل أثر العلماء العدول في التوجيه، مما انعكس على الأمة جـمـعـــــاء بجهل مريع وانحطاط مزمن، بينما أوروبا تستيقظ، وتكشّر عن أنيابها؛ لتستعمر جل ديار الإسلام حتى يعلن أحد قادتها أمام قبر القائد المسلم (صلاح الدين): »ها نحن عدنا يا صلاح الـديــن«. وحـيـنـما دخلت الخيل الأزهر لم يجد بعض العلماء في ذلك الوقت وسيلة للتحرك ضد الغزو الـقــادم ســـوى التجمع لقراءة الأحزاب والأوراد التي لا تخلو من شركيات! وكانت النتيجة الحتمية فشلاً ذريعاً للأمة، وبداية السقوط في معركة المواجهة الحضارية. وحينما حز ذلك في نفوس بعض النابهين من أبـنـــــاء الأمة رأوا أن السبيل لمواجهة ذلك الغزو ليس إلا فقه العصر ومعرفة علومه وفنونه وإعــداد العدة للمواجهة وعندما اختيرت نخبة من أبناء مصر للدراسة في الغرب للتخصص في مخـتـلـف العلوم التقنية آنذاك، كان إمام البعثة (الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي) والذي تأثر بالواقـــــع الفرنسي وما يعيشه من نهضة وتقدم، فنقل الشيخ ما رآه ولمسه وأعجبه هناك من أنظمة وعادات وتقاليد في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) داعياً لاقتفائها، وألـف بعـض الكـتــب ومنها (مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية) و(المرشد الأمين في تربية البنات والبنين).. لقد ذهب الشيخ إماماً وعاد داعية من دعاة التغريب فيما انتهى إليه من فكر، والسر والله أعلم أنه لم ينطلق من أسس عقدية صحيحة أو منهجية علمية، وإلا لما نقل لـنــــا بكل إعجاب صوراً من الدستور الفرنسي والأنظمة الغربية الكافرة داعياً لتطبيقها في بلاد المسلمين.

إنـــه بتـلـك الروح الانهزامية نكص بالفعل عن مهمته الدعوية، وهذا ما وضحه بجـــلاء العلامة (د. مـحـمـد مـحـمد حسين) رحمه الله في (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) و(الإسلام والحضارة الغربية)، ولذلك لا نعجب حينما نرى أدعياء التنوير المعاصرين اليوم بعد فشلهم في مشروعهم الـعـلـمـاني لتغريب المجتمع العربي المعاصر، ودعايتهم المتواصلة له، نجدهم يلجأون لإعادة طبع كـتـب رمـــــوز التـغـريب القدامى الذين يسمونهم (رواد التنوير) أمثال: رفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين، وسلامـــــة موسى، وغيرهم، والتي مع ما وضعوه لها من دعاية وطبعات شعبية ورخص في السعر، لم تجد سوى الكساد لأن أولئك لا يمثلون الإسلام الحقيقي وإنما هم الفئة المنهزمة الممثلة لفترة تبعية وتغريب أمتنا، وشبابنا اليوم يعرفون أولئك حق المعرفة فهم مهما

لمعوا وأقيمت لهم المؤتمرات والندوات والدعايات الساذجة، يبقون في نظر الشباب المسلم ليسوا سوى دعاة تزوير لا دعاة تنوير.

تمت بعون الله ولله الحمد
